# هَلْ تُرِيدُ صِنَاعَةَ عُمُرٍ طَوِيلٍ؟؟

تأليف/

المُصْطَفَى السَّالِكُ بن الطَّالِبِ الشِّنْقِيطِيُّ

# الردمك

## المقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أفضل العرب والعجمسيدنا وحبيبنا محمد ﷺ،القائل:((**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**)) . والقائل ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**))، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأخيار من المهاجرين والأنصار، وبعد ،،،،

فهذه رسالة مختصرة بعنوان: **هل تريد صناعة عمرٍ طويل؟؟.**

تُعدُّ مكمّلة لرسالة(**الموسر والمعسر وجسور التواصل**)، لأن رسالة الموسر تتحدث عن إعانة عاجلة للهوف وصدقة فورية لمضطر في حياة المنفق، بينما هذه الرسالة تتحدث عن صدقة جارية ونفع مستمر يضيف للإنسان عمرا طويلا بطول الانتفاع بريع تلك الصدقة.

والمسلم يسعى في جدٍ واجتهادإلى تحقيق كلا الهدفين النبيلين ويحرص على

إنجاز العملين الشريفين، بمعنى أن من رزقه الله سَعة في الرزق ووفرة في المالعليه أن يوازيَ بين حالة الطوارئ التي عالجْتها رسـالة الموسـر و اسـتراتيجية المسـتقبل التي تعالجها هذه الرسالة .

وسأبدؤها بعد هذه المقدمة بتمهيد عنوانه (نظام الحبس في الشريعة الإسلامية) ثم أقدمها للقارئ الكريم في وقفات على غرارِ رسـالة الموسـر والمعسـر، وإليك عناوين الوقفات:

الوقفة الأولى بعنوان (صدقة جارية)

الوقفة الثانية بعنوان (علم ينتفع به)

الوقفة الثالثة بعنوان (ولد صالح)

الوقفة الرابعة بعنوان (نماذج من الوقف الإسلامي ودوره الحضاري عبر التاريخ)ثم نختم بخاتمة تتناول بعض الموضوعات الهامة .

ومنهجيتي في الرسـالة أنني أعزو كل آية وأعزو كل حديث أو خبر أو قول إلى المصدر الذي أخذته منه ، وأسأل الله القبول.

## نظام الحبس في الشريعة الإسلامية.

إن نظام الحبس أو الوقف هو أحد النظم التي لم تَعرِفْها البشرية إلاّ في هذا الدين العظيم، هذا النظام الاجتماعي الفريد جاء مع مجيء معلم البشرية وهادي الإنسانية إلى المدينة المنورة.

فعندما شرَّف المدينةَ بمقدمه المبارك جعل عليه الصلاة والسلام أولى مهماته بناء مسجده النبوي الشريف الذي حوى بين جنباته روضةً من رياض الجنة، وكان هذا المسجدَ أولَ وقف في الإسلام، ولذلك نص الفقهاء على أن الإنسان إذا بنى مسجدا لله، فبمجرد الصلاة أو الأذان فيه يصير وقفاً، فكأن الصلاة بمثابة الحوز عندهم.

وقد تتابع الصحابةَ الكرامﷺعلى ذلك المنوال، والمسلمون بعدهم على مر العصور وكر الدهوروكان لهذا الوقف الأثر الحضاري الفريد على الحياة في المجتمع الإسلامي طَوالَ العصور السابقة، وقد تأثرت أوربا وغيرها من بلدان العالم بمفهوم الوقف الإسلامي وسماته النبيلة وذلك عن طريق التواصل معها من خلال جامعات الأندلس ومؤلفات علماء المسلمين.

وعندما نقارن بيننا وبين غيرنا فإننا نجد أولَ إشارة إلى الوقف في النظم القانونية الغربية جاءت في القانون الإنجليزي للأعمال الخيرية الصادر عام (١٦٠١م). أي

بعد مضيّ ألف سنة والمسلمون يتسابقون متفننين في إنشاء الأوقاف الإسلامية المختلفة مَن مساجد ومدارس ومستشفيات ودورٍ للأيتام وحفرٍ للآبار، ودورٍ لسكن الحجاج، وغير ذلك من المجالات التي تجاوزت ثلاثين مظهراً من مظاهر التكافل الاجتماعي .[1]

والمسلمون اليوم في أمس الحاجة إلى معرفة ماضيهم المشرق وتاريخهم المضيء ليعيدوا بعض ما فقدوه.

إخوتي الكرام إننا نحتاج إلى ترويج ثقافة الوقف الإسلامي في وجوه الخير المختلفة، ونعرض صورته الجميلة الناصعة في المجالس واللقاءات، محاولين بشتى الوسائل والأساليب إقناع أفراد الأمةبأهمية الصدقة الجارية التي لا تنقطع بانقطاع عمر صاحبها.

وبما أن الوقف نظام إسلامي اجتماعي يراد به وجه الله تعالى بالإنفاق المستمر في وجوه الخير العامة أوالخاصة، فينبغي أن يواكب هذا النظام النبيل كل مرحلة جديدة ومتطلباتها.

فإذا كان الأقدمون قد عرفوا بأنّ الواحدَ منهم إذا ملك قطيعا من الغنم حبس شاةً منه لحاجة المسكين لحليبها، فإن الفقير في هذا الزمن يحتاج أضعاف ما يحتاجه الفقير في السابق؛ لكثرة متطلبات المدنية الحديثة من كراء بيت وتسديد فواتير الكهرباء والماء والهاتف .. الخ.

(١ ) [انظر: الوقف في الإسلام ودوره في تنمية المجتمع (ص٨٣)]

هذه الأسباب وغيرها تجعل الحديث عن أهمية الوقف أمرا ضروريا في كل البيئات وسائر المجتمعات.

أليس من الضروري أن يفكر تجار المسلمين الأخيار الذين هم عز لأمتهم وفخر لمجتمعاتهم المعروفون بالإنفاق السخي على الفقراء والمحتاجين، وهذا شيء يذكر لهم فيشكرون عليه فالله نسأل أن يجزيهم على ما يقدمونه للمحاويج والمعوزين.

ومع ذلك أليس من المناسب أن يعملواعلى إنشاء وقف خيري، أو أوقاف متعددة تكون موازيةً لما يقدمونه للفقراء والمحاويج .

ليجمع هؤلاء بين خير وقتي يعالج الحالات الطارئة مدة حياة المنفق، وخير مستمر يصنع عمراًإنتاجياً طويلاً للمنفق بعد رحيله عن هذه الدنيا.

أيها الأحبة الكرام لا شك أن مجالات الخير كثيرة، وكل فرد أو مجتمع أدرى بالمجال الذي يرى أنه أولى من غيره من المجالات الأخرى، والإسلام بتميزه الحضاري يحرص على التكافل الاجتماعي بمفهومه العام، ولكنني ركزت في هذه الرسالة على الوقفالتعليمي؛ لاعتقادي أن التعليم من أهم أسس التنمية الشاملة.

# الوقفة الأولى:(صدقة جارية)..

## الوقف نصوص وآثار:

الوقف في اللغة الحبس[١]وقد استعمل الفقهاء مادتي(حبس)و(وقف)في التعبير عن الوقف فاستعملوا كلمة حبَّس أو أحبس ووقف للفعل ووقْف وحبس للاسم وجمعت على أوقاف وأحباس.

وأما الوقف في الاصطلاح فقد اختلف الفقهاء في تعريفه تبعا لاختلافهم في بعض أحكامه كلزومه وملكيته وغير ذلك فلهم تعاريف مختلفة،

١. فبعضهم يقول في حكمه(الوقف مستحب ومعناه تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة).

٢. وبعضهم يقول: (الوقف حبس العين والتصدق بمنفعتها[٢].

٣. وقد عرَّفه ابن عرفة رحمه الله بأنه(إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما في ملك معطيه ولو تقديراً[٣].

٤. وقد عرفه الصاوي رحمه الله بتعريف شامل لجميع أنواع الوقف فقال: (هو جعل منفعة مملوك أو غلته لمستحق مدة ما يراه المحبس[٤]

---

(١) (القاموس المحيط مجلد٣صفحة١٩٩ المطبعة المصرية القاهرة١٣٥٢)،

(٢) الوقف في الإسلام ص١٠

(٣) شرح حدود ابن عرفه لأبي عبد الله محمد الأنصاري التونسي المشهور بالرصاع ص٥٨١.

(٤) بلغة السالك لأقرب المسالك الشيخ أحمد الصاوي مجلد ٢صفحة ٢٩٦ دار المعرفة.

=

فهو يؤكّد معنى التوقيت بإرادة الواقف وليس بوجود الموقوف فقط كما قال ابن عرفة رحمه الله كما أنه يشمل وقف المنفعة،وقد عرفه من المعاصرين صاحب كتاب (الوقف الإسلاميتطوره إدارته تنميته) فقال: (الوقف هو حبس مؤبد ومؤقت لمال للانتفاع المتكرر به أو بثمرته في وجه من وجوه البر العامة والخاصة[1] فالوقف إذاً صدقةٌ جاريةٌ ما بقيت أو بقي أصلُها سواء أكان طبيعيا يحدده العمر الاقتصادي للمال الموقوف أم إراديا يحدده نص الواقف وإرادته) .

ثم يقول المؤلف (إن هذا التعريف يعبر عن جميع أشكال الوقف وأنواعه فهو أولاً حبس عن الاستهلاك الشخصي،مما يعني أنه ينشيء رأس مال قادر على إنتاج المنافع،وثانياً يقع على المال والمال قد يكون ثابتا كالعقارأو منقولا كالثياب أو عينا كالذهب والفضة أو غير ذلك وهو أيضا يضمن معنى تكرار الانتفاع واستمراره وهو بذلك التكرار والاستمرار يعبر عن معنى الجريان الذي عبر عنه النبي ﷺبقوله: (صدقة جارية)وبهذا يتميز الوقف عن الصدقة التي تستهلك عينها مرة واحدة).

وهدفنا من هذه التعاريف هو إعطاء صورة إجمالية للقارئ الكريم عن الوقف وحكمه ولزومه وليس هدفنا ذكرالخلافات الفقهية التي ليس محل ذكرها في هذه العجالة.

أما النصوص والآثار الواردة في الوقف فكثيرةٌ ومن أشهر نصوصه عند الفقهاء حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله

(١) الوقف الإسلامي تطوره، إدارته، تنميته ، لمؤلفه الدكتور منذر قحف ، ص٥٨.

عنهما قال:(أصاب عمر ﷺأرضا بخيبر فأتى النبي ﷺيستأمره فيها فقال يارسول الله إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منه،قال **إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها** قال فتصدق بها عمر أنه لا يباع أصلها ولا يورث ولا يوهب فتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقاً غير متمول)[١].

وقد أكدت رواية ابن عمرﷺأن هذه الأرض كانت في خيبر وقد جاءت عبارة النبي ﷺكما يقول صاحب المحلى:(**حبس أصلها وسبّل ثمرتها**[٢])

ثم يقول ابن حزم: ولقد حبس عليﷺأرضا له في ينبع وفي وادي القرى وحبس طلحة والزبير وحكيم بن حزام وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن عمر وعمرو بن العاص وكثير من الصحابة وحبس عثمانﷺبدعوة من النبي ﷺفي حياته مربداً ضمه للمسجد النبوي الشريف وكذلك بئر رومة كما عند الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة.اهـ[٣].

وقد حبس خالدﷺ سلاحه وعتاده يقول ﷺ:(**فأما خالدٌ فإنكم تظلمون خالداً قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله**[٤]).

---

(١) البخاري رقم٢٦١٣ومسلم رقم١٦٣٢.

(٢) المحلى لابن حزم مجلد٩ص١٨٠دار الفكر.

(٣) المصدر السابق.

(٤) البخاري١٣٩٩.

أحبتي الكرام لقد ضرب الصحابة ﷺأروع الأمثلة في الإنفاق والبذل والتضحية والإيثار،سواء أكانت هذه الأعمال صدقة عاجلة لعلاج حالة طارئة،أو صدقة جارية مستمرة من أجل إنتاج عمرٍ طويلٍ.

إن هذه الأعمال الخيرية المختلفة كونت بمجموعها تكافلا اجتماعيا فريدا لم تعرفه البشرية إلاّ في هذا الدين،واستمع معي لموقف هذا الصحابي الجليل:

لما نزل قول الله تعالى:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١ ﴾[1] ق ال صحابي جليل من الأنصاريكنى أبا الدحداح: يارسول الله أو يستقرض الله من عبده؟

قال نعم فقال امدد يدك فأشهده أنه تصدق ببستانه الذي لا يملك غيره وكان فيه أكثر من ستمائة نخلة مثمرة،ثم عاد إلى زوجه،وكانت تقيم هي وأولاده في البستان فأخبرها بما حصل وأنشأ يقول:

هداك ربي سبل الرشاد ... إلى سبيلِ الخير والسداد
بيني من الحائط بالوداد ... فقد مضى قرضا إلى التناد
أقرضته الله على اعتماد ... بالطوع لا منٍّ ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في المعاد ... فارتحلي بالنفس والأولادَ

(١) الحديد: ١١.

والـبر لا شـــك فـخـير زاد قـدمـه المرء إلى المعـــــــاد

فينبغي للأخت المسلمة أن تستمع وتتأمل كيف كان جواب هذه الصحابية؟وكيف تعاملت مع هذه المفاجأة؟ التي تحمل إخراجها وأولادها من هذا البستان الذي لا يملكون غيره و القراء الكرام يعرفون قيمة النخيل عند الأنصار!، فأجابت أم الدحداح بلسان عربيٍ مبين وبدأت بمقدمة جميلة:(ربح بيعك يا أبا الدحداح،بارك الله لك فيما اشتريت!)ثم كان ردها العجيب:

بـــشرك الله بخير وفرح مثلك أدى ما عليه ونصح

قد متع الله عيالي ومنح بالعجوة السوداء والزهو البلح

والعبد يسعى وله ما قد كدحطول الليالي وعليه ما اجترح[1]

ولْنستمع إلى موقف آخر:لما نزل قول الله تعالى﴿

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[2]

قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ:﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بِيرحاء وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:**بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي**

(١) تفسير القرطبي مجلد٣صـ٢٣٨.

(٢) آل عمران: ٩٢.

=

أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ)[1]

وقالَ بعضَ العلماء إنَ صدقة أبي طلحة(بيرحاء)كانت أول وقف أهلي في الإسلام.

وقد اتضح من خلال ما تقدم أهمية الوقف في الإسلام عند الصحابة ﷺحتىَّ إنَّ جابر بن عبد الله ﷺقال: (فما أعلم أحدا ذا مقدرة من المهاجرين والأنصار إلا حبس مالا من ماله صدقة جارية موقوفة لا تشترى ولا تورث ولا توهب[2]).

ثم تتابع المسلمون بعد ذلك جيلا بعد جيل يوقفون الأراضي والبساتين والدور والغلات،لأعمال البر مما ملأ المجتمع الإسلامي بالمؤسسات التي بلغت حداً من الكثرة يصعب إحصاؤه والإحاطة به،كالمساجد والمدارس والمستشفيات.. إلخ، ولا شك أن هذه النماذج المتعددة من الأوقاف اقتضتها الحاجة عبر الأزمنة وينبغي أن تتجدد الأوقاف مع تجدد حاجة المجتمعات إليها .. ولتوضيح ذلك

أولا:إذا كان عثمانﷺاشترى بئر رومه لحاجة المسلمين الماسة لمائها ،كنتأخي الكريم في هذا العصر في بلد متقدم تقنياً واقتصادياً يصل ماء الشرب العذب إلى منزل كلِ أسرة فإنه باستطاعَتك أَن توفر من ريع وقفك بديلا عن البئر تدعو الحاجة إليه، بإمكانك أن تقوم بتمويل مشروع لبرادات الماء في الأماكن العامة

(١) البخاري١٤٦١

(٢) من روائع حضارتنا الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله صـ١٢٤.

كالمساجد والمدارس وأمام المجمعات السكنية والتجارية ويكون المشروع مسئولا عن صيانة البرادات وتوفير الماء وتسديد الكهرباء كما أنه بإمكانك إذا كنت تريد أن تعمل عملا مماثلا لما فعله عثمان ﷺوإن لم تصل إلى مرتبته مهما فعلت– فبإمكانكأن تبحث في البلاد الإسلامية الفقيرة لتكتشف مكاناً مناسباً لحفر الآباروستجد من هو في أمسِ الحاجة إلى توفير الماء الصالح للشرب في القرى والأرياف الخ...

ثانيا:بإمكان شخصٍ أيضاً أن يجعل ريع صدقته الجارية خاصاً بتسديد فواتير الكهرباء لأرامل أو أيتامٍ قريته أو قبيلته أو الفقراء والمحاويج بشكل عام.

ثالثا: بإمكان شخصٍ آخر أن يخصص ريع وقفه لشراء مكيفات تبريد في المناطق الحارة يجعلها لأرامل أو أيتامأو عموم المساكين في قريته أو عائلته.

رابعاً: بإمكان شخص آخر أن يخصص ريع وقفه لشراء الأدوية للمساكين المرضى من بلدته أو أحفاده.

هذه نماذج قليلة من المقترحات الهدف منها أن نبين أن كل شخص حباه الله مقدرة مادية وإرادة خيرة يستطيع أن يختار مجالا حيويا لريع صدقته الجارية وباستطاعته أن يكتشف مجالا جديدا لم يطرق من قبل ليجعل ريع صدقته علاجا لمشكلة لم تنتشر ثقافة حلها بين الناس إما لجدتها عليهم بحيث لم تترسخ في أذهانهم باعتبارها مشكلة، وإما لتوجه الأنظار إلى مشاكل أخرى ترسخت في أذهان الناس لعوامل تراكمية أو لصريح النص فيها،،خذ مثالا على ذلك:

قد تجد تفاعلا جيدا من بعض الأخيار إذا تحدثت عن كفالة يتيم فقد والده وهذا شيء جيد ويبعث على السرور ولكنك لا تجد نفس التفاعل إذا تحدثت عن شخص مسكين مصاب بفشل كلوي، يحتاج إلى غسيل دائم وإذا كان لا يستطيع تكلفة الغسيل فإن حياته معرضة للخطر ومن أسباب هذا التفاوت ورود النص في كفالة اليتيم خاصة واندراج الآخر في عموم المرضى أو المحاويج مع أن الفرق واضح بين شخص صحيح-ولو كان يتيما-وبين شخص حياته معرضة للخطر﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾[1] المائدة: ٣٢المهم أن يسعى القارئ الكريم من خلال الوقف بمفهومه العام ونماذجه المختلفة إلى صناعة عمر إنتاجي طويل ولا أستطيع الاسترسالأكثر لأن الحديث خاص بالوقف التعليمي.

(١)

## الوقفة الثانية:(علم يتنفع به)..

### مكانة العلم والعلماء في ديننا الإسلامي..

يقول تعالى مبينا مكانة أهل العلم حيث عطف شهادتهم على شهادته وشهادة ملائكته وهي شهادة تزكية منه عز وجل للعلماءقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[1]وعندما اختار لنبيه وخليله أفضل ما تكون منه الزيادة اختار له شيئا واحدا قال تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[2]كما أنَّه جل جلاله قد حصر الخشية منه في العلماء قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾ ﴾[3]وأمر نبيه ﷺأن يستخدم هذا الأسلوب الاستفهامي التقريريالمثير المتضمن إنكار التسوية بين صنفين من البشر قال تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[4]كما

---

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) الزمر: ٩.

=

أنه حكم برفعة المؤمنين ولكنه خص منهم طائفة بمزيد من الرفعة والصعود قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴿١١﴾﴾[1].

كما أن رسولنا عليه الصلاة والسلام يعلنللبشرية أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكرا أو أنثى والفرض: هو ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه كما يقول علماء الأصول يقول ﷺ:(**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)[2]وهذا يجعلنا نجتهد ونتعاون لنؤدي ما فرضه الله علينا لنسلم من العقوبة، كما أنه ﷺأخبر أن الواحد منا ينقطع عمله برحيله عن هذه الدنيا إلا من ثلاث (**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**[3]) وأخبرﷺ:أن العلم ينتزع بموت العلماء وإذا لم يعمل المسلمون عل إيجاد بدائل تقوم بنفس الدور فإن النتيجة معروفه وحتمية وهي انتهاز الجهال الفرصة فيترأسون ويتصدرون للفتاوى فيفتون الناس بغير علم فيضلون ويضلون غيرهم عن سواء السبيل، يقول ﷺ:(**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبقِ عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا**

(١) المجادلة: ١١.

(٢) ابن ماجه٢٢٤

(٣) مسلم١٦٣١

=

**فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**)[1]وأخبر عليه الصلاةوالسلام أن العلم يحمله عدول كل قوم ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين و تأويل الجاهلين وهؤلاء العدول لا تستغني الأمة عنهم فينبغي للمسلمين أن يعملوا على تكوينهم لأن الساحةإن بقيت خالية للجهال ساقطي العدالة،قادوا مجتمعاتهم إلى مغامرات خطيرة كالغلو في الدين أو التساهل فيه وهما أمران مذمومان ينبعان من الجهل و الهوى والفضيلة دائما بين رذيلتين يقول ﷺ:(**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**[2]).

ويحكم ﷺبخيرية ومن الطبيعي أن يسعى إلى تحقيقها كل مسلم جاد يريد ما عند الله سبحانه وتعالى قال ﷺ:(**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**)[3].

ويخبر ﷺأبا ذر رضي الله عنه موجهاً ومبيناً له وللأمة عامة أهمية التعلم مقارنة بغيره من العبادات الأخرى بدْأً بالآية التي يفوق أجر تعلمها مئة ركعةوانتهاء بتعلم باب من العلم الذي يفوق ألف ركعة حتى وإن لم يعمل بهذا البابيقول ﷺ:(**يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مئة ركعة**

---

(١) البخاري١٠٠ومسلم٢٦٧٣

(٢) البزار١٣٤والبيهقي والحاكم وصححه أحمد والذهبي.

(٣) البخاري ٥٢٠٧

=

**ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلي ألفَ ركعة**[١]).ويحكم ﷺباللعنة على الدنيا وما فيها ويستثني من ذلك العلمومتعلقاته يقول ﷺ:(**الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ مافيها إلاّ ذكرالله وما والاه أو عالماً أو متعلماً**[٢])

ويخبرعليه الصلاةوالسلامبأن السير في طلب العلم يسهل الوصول إلى الجنة يقول ﷺ:(**من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة**[٣]).ويحفزنا ﷺعلى إنشاء حلقات الذكر وتشجيعها ولو بالجلوس فيها مبيناً أنّها من رياض الجنة وهل يسعى المسلم إلى غير هذا الهدف النبيليقول ﷺ:(**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر**)[٤] ويصور ﷺمكانة العالم بمثال محسوس يدركه كل من رفع رأسه إلى السماء مبينا أن هؤلاء ورثة الأنبياء وهذا حظ عظيميقول ﷺ:(**إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن**

---

(١) ابن ماجة٢١٩

(٢) الترمذي٢٣٢٢وابن ماجه٤١١٢

(٣) مسلم ٧٠٢٨.

(٤) أحمد ١٢٥٢٣ والترمذي ٣٥١٠.

=

**أخذه أخذ بحظوافر**)[1]ويبين عليه الصلاة والسلام قيمة الفقه في الدين إذ به يعرف الحلال من الحرام والخير من الشر ويبين أن الشيطان لا يقاوم وساوسه مثل الفقيه في دين الله إذْ عليه يعتمد بعد الله سبحانه وتعالى يقولﷺ: (**ما عَبد الله عز وجل بشيء أفضل من فقه في دين الله ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه**[2]) ويقسّمﷺالبشر إلى أربع نماذج:

**أولاً**:عبد رزَقه الله مالا وعلما فاتقى فيه ربه ووصل رحمه ولاشك أن هذا النموذج قمة في النجاح والفلاح..

**ثانياً**:عبد أعطاه الله علما ولم يعطه مالا ولكنه يتميز بصدق النيةويتمنى أن يرزقه الله مالا إضافة على ما عنده من العلم فبمجرد هذه النية الحسنة يصعد إلى الصنف الأول.

**ثالثاً**:عبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما ولكنه لم يبذل جهداً في التعلم ولم يمتثل قوله تعالى:﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[3]بل يخبط في

(١) أحمد٢١٧٦٣ وأبو داود ٣٦٤٣ والترمذي ٢٦٨٢ وابن ماجه ٢٢٣.

(٢) شعب الايمان١٧١٢.

(٣) الأنبياء: ٧.

=

ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه مع أنه كان بإمكانه لو وفقه الله عز وجل،أن يسأل عما جهلهيقول ﷺ: (**إنما شفاء العي السؤال**)[1].

**رابعاً**: عبد لم يرزقه الله مالا ولا علما ولكنه ولسوء حظه وسلوكه يتمنى أن يكون له مال ليعصي الله به فبمجرد تمنيه النعمة ليجعلها في حرام حوله إلى الصنف الثالث.

يقول ﷺ:(**إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء**[2])

كما أنه ﷺأمر زيد بن ثابت بتعلم لغة أجنبية لتكون جسرا للتواصل بينه وبين الثقافات الأخرى وهذا يدل على أن المسلم إذا كان راسخ الإيمان سليم

---

(١) أبو داود ٣٣٦) وابن ماجه (٥٧٢).

(٢) الترمذي٢٣٢٥وأصله في مسلم٣٠٢١

التوجه لايضره بعد ذلك أن يتعلم اللغات الأجنبية عندما لا تكون مربوطة بمضامين تلك اللغةومبادئ أهلها فاللغةُ المجردة وسيلة تواصلأساسية بين بني البشر يقول زيد بن ثابت ﷺأمرني رسول الله ﷺأن أتعلم له كتاب يهود قال (**إني والله لا آمن يهود على كتاب قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال لما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم**[1])

كما أنه ﷺمثل العلماء بمثال عجيب يتناسب مع ذلك العصر وبيئتهفالنجوم يهتدي بها السائرون في البر والبحر،فعندما تغيب النجوم في الماضي أو تتعطّل الكهرباء–في الحاضر– فإن السائرين سيضلون حتما..

يقول ﷺ: (**إن مثل العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم يوشك أن تضل الهداة**[2])

وروى ابن عبد البر في كتابه بيان العلم مرفوعا عن معاذ بن جبل (تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشيةٌ وطلبه عبادةٌ ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقةٌ وبذله لأهلهقربةٌ لأنه معالمُ الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنس في الوحشة والصاحب َفي الغربة والمحدث في

(١) الترمذي٥ ٢٧١٥وابوداود٥ ٣٦٤

(٢) أحمد (١٢٦٠٠)، وأبو بكر الخطيب في كتابه الفقيه والمتفقه مجلد٢صـ١٣٨

الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادةً وأئمةً تقتص آثارهم ويقتدي بأفعالهم وينتهي إلى رأيهم ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم يستغفر لهم كلُّ رطبٍ ويابسٍ وحيتانُ البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظُلَم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة التفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام... به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام هو إمام والعمل تابعه ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء)[1].كما أنه ﷺبين مكانة الدعاة وعظيم أجرهم عند ما يعملون جادين في هداية البشرية من الضلال إلى الهدى ومن الانحراف إلى الاستقامة يقول ﷺلعليٍ رضي الله عنه: (**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**[2]).

ويقول عليٌّ -رضي الله عنه-: (العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقات والعلم يزكو بالنفقة[3])ويقول أيضا:(العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم

---

(١) جامع بيان العلم للإمام عمر بن عبد البر صـ٥٥.

(٢)البخاري (٢٩٤٢).

(٣) إحياء علوم الدين مجلد١ص١٨

=

ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه[١]) وعن ابن مسعود ﷺ قال(اغدَ عالماً أو متعلماً ولا تغدَ بين ذلك[٢])

وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء -رضي الله عنهما- قائلاً: (إن العلم كالينابيع يغشى الناس فيختلجه هذا وهذافينفع الله غير واحد وإن حكمةً لا يتكلم بها كجسد لا روح فيه وإن علماً لايخرج ككنزٍ لاينفق وإنما مثل المعلم كمثل رجل حمل سراجا في طريق مظلم يستضيء به من مر به وكل يدعو إلى خير[٣]).

إنّ رسالة سلمان لأخيه أبي الدرداء-رضي الله عنهما-تحمل كثيراً من العبر والدروس فهي رسالة لبيب حازم عاقل نبيل صاحب تجربة عميقة، ورحلة طويلة بحثاً عن الحقيقة، رحلةٌ ميز فيها بين التدين المغشوش والهدى المستبَين كماَ أنّ الرسالة مرسلة إلى عابد زاهد عاقلٍ كان ابن عمر-رضي الله عنهما-يقول (حدثونا عن العاقلين؟فيقال:من العاقلان! فيقول معاذ وأبو الدرداء) إنّ سلمانﷺيعلن لأخيه أهمية نشرِ العلم مبيناً أن العلم إذا لَم يبلّغْ فإنه مثل كنزٍ لا ينفق وأن المعلم صاحب رسالة يحرص على هداية البشرية

(١) المصدر السابق.

(٢) كتاب العلم لأبي خيثمة زهير بن حرب صـ٦

(٣) الدارمي (٥٥٧).

بل هو سراج يضيء الطريق المظلم يستفيد منه كل من مرَّ بذاك الطريق ويختم رسالته بهذه العبارة الجميلة(وكلٌّ يدعو إلى خير) وكأنه يقول له إنّ رسول الله ﷺقد آخى بينيوبينك مؤاخاةً خاصة ولَها خصائصها ومتطلباتها ومن نتائجِ هذه الأُخوة ولوازمها أنْ يدعو كلٌّ منا إلى خير....

وقال ابن وهب رحمه الله كنت بين يدي مالك رضي الله عنه فوضعت ألْواحي وقمت أصلي أي النافلة فقال ما الذي قمت إليه بأفضل مما قمت عنه[1].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.[2]

وقال الإمام أحمد: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب لأنَّ الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب مرة أو مرتين في اليوم وحاجته للعلم بعدد أنفاسه.[3]

**ونختم هذه الوقفة بمراسلة بين عالم وعابد.**

قال الحافظ ابن عبد البر إن عبد الله العمري العابد كتب إلى مالك يحضُّه على الانفراد والعملفكتب مالك(إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فربَّ رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم،

(١) مدارج السالكين٢ص٤٧

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

=

وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة ، فنشر العلم من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح لي فيه وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا على خيرٍ وبرٍ ويجب علىٍ كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام)).[1]

إن هذه القصة تحمل كثيراً من الدروس الهادفة والعبر المفيدة من خلالها نستطيع أن نعرف مكانة الإمام مالك ونكتشف منهجه في التوازن والإنصاف والحكمة والاعتدال ونستوعب حصافته الفريدة في تعامله مع الأفراد قد يكون عبد الله العمري في موقفه هذا تعلق بقوله تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[2]أو فهم هذا الزاهد أن العبادة الفردية والعزلة الذاتية عن الناس والانشغال بالنفس أولى ليترقى الإنسان من خلال العزلة في مقامات الإحسان بعيداً عن الأنظار ولكنَّ الإمام مالكاً أراد أن يصحح له مفهوم العبادة بأسلوب كان قمة في الرقي الأدبي والذوق الرفيع فكأنه يقول لهذا الزاهد إنه لا بد من وجودٍ الحد المشترك بيننا فتعلُّم المسلم ما يجب عليه من فرض عينه محل اتفاق بيننا كما أنّ وجوب فعل ما يجب على المسلم فعله من صلاة وصوم وحج وزكاة..الخ محل اتفاق بيننا أيضاً ولكن ما زاد على الحد المشترك فالواقع أن الله سبحانه وتعالى قسم الأعمال كما قسم الأرزاق (فرب رجل فتح له في باب من أبواب الطاعة ورب رجل فتح له في مجال آخر) وفي سياق التفاضل بين هذه الأعمال (فنشر العلم من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح

(١) سير أعلام النبلاء ص١١٤ ج٨

(٢) الذاريات: ٥٦.

لي فيه) وكأنه يقول له ولا أخفيك سراً هذه القناعة(وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه) ومع ذلك فإنني لا أحجر واسعاً ولا أستطيع احتكار فضل الله (وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر) ولكن الفقرة الأخيرة التي ختم بها الإمام مالك رسالته تعد دستوراً يكبح جماح المتقلبين الذين لا يرضون بما قسم الله سبحانه وتعالى لهم (ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام) ما أحوج الدعاة والمصلحين الذين يجمعهم منهج واحد ومصير مشترك و يسعون في زرع القيم النبيلة والمبادئ الأصيلة في أمتهم ما أحوجهم إلى هذا الأسلوب ( وأرجو أن يكون كلانا على خير) إن الإمام مالكاً ناقش هذا الرجل بأسلوب هادئ رصين أعطاه من خلاله درساً هاماً في ترتيب الأولويات وفي نفس الوقت ثمن له حرصه على العبادة بمفهوم عبد الله العمري لها ( رب رجل فتح له في العبادة) إن عبد الله العمري مع ماله من الزهد والعبادة لولا أن طلاب الإمام مالك حفظوا هذه القصة لما علم المسلمون –على ما أعتقد– عبر العصور بوجوده أصلاً ولكأن تقارنبين ما تنافس فيه الرجلان من نوافل العبادة لترى الفرق و التفاوت بين النفع المتعدي الذي أوصل الإمام مالكاً إلى المرتبة التي يعرفها الجميع وبين نفع قاصر على صاحبه كما في منهج عبد الله العمري من الدعوة إلى الإنفراد للتفرغ للعبادة القاصرة.

قديكون عبد الله العمري قد حط رحاله في الجنة وفضل الله عظيم ولكن الذي يظهر لنا والعلم عند الله أن ما أخبر به ﷺ(**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**) يجعلنا نتصور أن الإمام

مالكاً صنع لمستقبله عمراً إنتاجياًإضافياً بوسيلة (علم ينتفع به) ولا شك أن رصيداً يستمر نموه باطراد يختلف عن غيره وقول الإمام مالك (ربرجل فتح له في الإنفاق) فيه لفتة اجتماعية جميلة ونظرة إنسانية لطيفة إذ هي رسالة تدعو إلى الواقعية وفعل المتاح من أعمال الخير والبر، إن الإمام مالكاً بهذا النص لا يريد من التاجر المنفق أن يغلق محلاته التجارية بحجة التفرغ لنوافل أخرى من العبادة فالعمل الذي فتح الله فيه للإنسان وأصبح يتقنه ينبغي أن يرضى به ويسعى إلى تطوير نفسه فيه ليكون مبدعاً في هذا المجال وبذلك يسد ثغرةً تحتاجالأمة إلى سدها في التنمية الاجتماعية.

**أخي الحبيب**إذا اختلفت مع أخيك الذي يتفق معك في أصول الدين وقطعيات النصوصفي اجتهاد وكنت تعلم منه الصدق والحرص على الخير أليس من المناسب أن يكون شعارك معه (وأرجو أن يكون كلانا على خير؟) وإذا كان الإمام مالك أعلن هذا الشعار للزاهد (وأرجو أن يكون كلانا على خير) والعلماء مجمعون على أن العمل المتعدي أفضل من العمل القاصر،وذكر الإمام النووي أن العلم مفضل على العمل من اثني عشر وجها حتى إن الشيخ بن متالي الشنقيطي استنبط فضل تعلم اللغة على التخلي لعبادة الله تعالى حيث قال:

تعلم اللغة شرعا فضلِ  علىالتخلي لعبادة العلي..
يؤخذ ذا من قوله وعلما  آدم الأسما الزم التعلما[1]

(١) الوسيط (٣٤٤).

أخي الحبيب حفظك الله: إذاكانالفرق بين نافلة العلم ونافلة العبادة بهذا الحجم، ويكون جواب مالك لهذا الزاهد العابد(وأرجو أن يكون كلانا على خير)فما بالك بمن هو ليس مثل مالك في العلم ولا هو مثل عبد الله العمري في العبادة؟ فينبغي أن نتواضع ونعلم أن فضل الله عظيم ونتجنب ظاهر الإثم وباطنه﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾(١).

(١) الأنعام: ١٢٠.

## الوقفة الثالثة:( ولد صـالح يدعو له)

إنّ الحديث عن الولد الصالح الذي يدعو لوالديه بعد رحيلهما عن هذه الدنيا ويضيف لهما بدعائه عمراً إنتاجياً إضافياً،يحتاج إلى ديباجة تفصيلية إذْ لابد أن تكون البدايةَ على أسسٍ سليمة تراعى فيها وسائل السلامة وخصائص الجودة،تبدأُ الرحلة بالتوجيه النبوي الكريملكلا الطرفين الذين يريدان الإقدام على سنة الحياة(الزواج) بأن يختار كل منهما الآخر على معايير منضبطة ومواصفات محددة،يقول الحبيب ﷺآمراً الرجال ومعللاً ما أمرهُمبه (**تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع**[1]) ويقول ﷺ:(**فاظفر بذات الدين**[2]) وفي المقابل فإنه يأمر الطرف الآخر بالتفاعل الإيجابي مع صاحب الدين والخلق يقول ﷺ(**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**[3]) وعندما يقترن الطرفان على تلك المعايير المحددة،يأتي التوجيه النبوي في ثوب حماية ووعاء ضمانة،لمشروع المستقبل(الأولاد)،يقول ﷺ: (**اللهم جنبنا الشيطان**

(١) ابن ماجه ١٩٦٨والدرقطني١٩٨والمستدرك٢٦٨٧.

(٢) البخاري٥٠٩٠.

(٣) الترمذي١٠٨٤وابن ماجه١٩٦٧والطبراني في الكبير٨٩٠.

=

**وجنب الشيطان ما رزقتنا**[1]) وبعد الانتقاء على تلك الأسس من الطرفين ثم دعاء المسلم أكرم الأكرمين بأن يجنبه الله وذريته الشيطان يدعو ربه وهو موقن بالإجابة قال تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾[2]تبدأ بعد ذلك مرحلة نمو هذا الضيف المنتظر، وعندما يبدأ متدرجاً في رحلته إلى الهبوط إلى عالَم الدنيا فإنه يُحاط بعناية فريدة،من الطرفين فتقوم الأم بغذائه الداخلي ويقوم الوالد رغبةً ويلزم قانوناً بتأمين غذاء الأم الخارجي وهو بدوره غذاء للجنين،ولا شك أن الأم في هذه المرحلة تتحمل القسط الأكبر من المعاناة ولهذا كانت الوصية بالوالدين مقرونة بتصوير واقع الأم قال تعالى ( وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[3] وقال تعالى﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾[4]

إن الحديث عن حقوق الوالدين والكلام عن برهما لا يمكن حصره في هذه العجالة،ويكفي المسلم أن الله سبحانه ربط حقهم والإحسان إليهم

---

(١) البخاري١٤١.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) لقمان: ١٤.

(٤) الأحقاف: ١٥.

=

بعبادته وربط شكرهم بشكرهسبحانه قال تعالى:﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾[1] ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾[2].

ولكنني سأقدم للقارئ الكريم مقارنةً من خلال نموذجين قرآنيين بين الآباء من جهة و والأولاد من جهة أخرى لأبرز من خلالهما أهم المحطات التي يكون فيها الإنسان إما خادماً أو مخدوماً،لأتوصل من خلال هذه المقارنة إلى أن كل ما يقدمه الولد لوالديه من البر والإحسان إنما هو جزء قليل قليل من الرد بالجميل لمن كان سببا في وجوده:

(١) النساء: ٣٦.

(٢) لقمان: ١٤.

## النموذج الأول

فعندما يصل الولد سن البلوغ يبدأ تدريجيا بالابتعاد من الطفولة الأولى،وكلما اقترب من مرحلة القوة كلما اقترب والداه من مرحلة الطفولة الثانية ومن أدلة الاقتراب من هذه المرحلة مجيء نذير الشيب﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾[1]

لابد أن تمر البشرية بهذه المراحل يبدأ الإنسان –أي إنسان– مشواره في هذه الحياة بضعف الطفولة الأولى ويقوم والداه بدافع الفطرة الجبلية والحنان العفوي باحتضانه ولكن الإسلام يتدخل لينظم هذه العلاقة ويضفي عليها دفئاً خاصاً بين الأبوين وبين هذا الضيف الجديد،يستقبل عند مجيئه استقبالاً خاصاً متميزاً ينتقى له بعناية فائقة أول شيء يقرع سمعه،أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله...

عن أبي رافع ﷺقال: (**رأيت رسول الله ﷺأذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة**[2])وفي اليوم السابع يختار وينتقى له أحسن الأسماء وأجملها

(١) الروم: ٥٤.

(٢) أبوداود٥١٠٥والترمذي١٥١٤

وأقربها إلى العبودية والخضوع لله وأكثرها دلالةً على الفأل الحسن والإنتاجية والبناء، كعبد الله وعبد الرحمن والحسن وهمام والحارث.

لما ولد الحسن ﷺأراد علي ﷺأن يسميه باسم (حرب) فبادر متمم الأخلاق ومقنن المحاسن والفضائل ﷺفسماه الحسن ووضع الخطوط العامة والقواعد الكلية لتسمية أي مولود،ونحن ما زلنا في سابع الحسنين علي رضي الله عنهما حيث (**عق عنه ﷺبكبشين**[١])،ليكون فعل هادي الإنسانية ومعلم البشرية قدوة لنا في التفاعل الإيجابي مع كل ضيف جديد من اختيار الاسم الجميل والعمل على إطعام الطعام حتى يكون قدوم هذا الضيف الجديد رمزا للتكافل الاجتماعي الذي هو أحد أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: (**افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**[٢]) سئل رسول اللهﷺ(**أي الأعمال أفضل؟ قال: أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المسلم سرورا**[٣])فكأن قدوم المولود مناسبة سعيدة لإطعام الطعام وإدخال السرور مما يجعل قدومه حدثا محفوظا في ذاكرة الأجيال،وبالمناسبة لا تزال ذاكرة كثير من طلبة العلم في بلاد شنقيط

---

(١) النسائي٤٥٤٥.

(٢) ابن ماجه٣٢٥١والدارمي١٤٦٠وأحمد٢٣٨٣٥.

(٣) البيهقي في الشعب ٧٤١٥

=

تحتفظ بذكريات جميلة بمناسبة قدوم كثير من الضيوف إذ العادة عندهم أن يقدم الأب شاةً هديةًلطلاب المحضرة[١] عند سابع كل مولوديعطيها الوالد كإعانة لطلبة العلم المتغربين المنقطعين لتحصيل العلم،وبعد هذا الاستقبال الحار والحفاوة الفريدة بهذا الضيف من إسماعه كلمة التوحيد وقت قدومه واختيار الاسم الحسن له، وإطعام الطعام بمناسبة يومه السابع تأتي بعد ذلك ضمانات تربوية نبوية لسلامة مستقبله منها قوله ﷺ:(**ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن**[٢])ومنها قوله ﷺ:(**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**[٣])،إنه ترغيب نبوي كريمفي أن يبادر الأبوان إلى تربية المولود التربية الإسلامية المتوازنة الأصيلة وهو تحذير كذلك للأبوين من خطورة إهمال الولد في هذه المرحلة الحساسة مخافة أن يستحدث الولد أبوين بديلين من شياطين الإنس!!يغيران فطرته التي فُطر عليها...

إن الأبوين في هذه المرحلةتقع عليهما مسؤولية عظيمة قد تصل في بعض مراحلها ومعاناتها إلى درجة الفتنة قال تعالى:

---

(١) المحضرة: مكان تجمع طلبة العلم ودراستهم العلوم الإسلامية والعربية في بلاد شنقيط مثل الكتاتيب.

(٢) أحمد١٦٧١٠والبيهقي في الشعب١٦٧٣والترمذي١٩٥٢.

(٣) الموطأ٥٧١وأبوداود٤٧١٨الترمذي٢١٣٨

=

﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾[1] كما أنها قد تصل في بعض الأحيان إلى خطورة تدعو إلى المسارعة بإنقاذ فلذات الأكباد من نار جهنم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[2] وهذا يحتم على الوالدين العمل الدؤوب على تربية الولد على الصلاح والاستقامة حتى يكون أهلاً لما أخبر عنه نبي الرحمة ﷺ(**أو ولد صالح يدعو له**)..

(١) التغابن: ١٥.

(٢) التحريم: ٦.

## النموذج الثاني

في

قولهتعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[1] تقدم معنا في آية الروم أن الإنسان لا بد أن يمر بمرحلة الضعف الأولى حتى يصل تدريجيا إلى مرحلة القوة ثم يعود مرةً أخرى إلى مرحلة الضعف الثانية ويشير جزء من هذا المقطع إلى المرحلة الأولى والثانية في قوله تعالى حكاية عن هذا الإنسان(كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا) الولد هنا في مرحلة الضعف الأول بدليل قوله (صَغِيرًا) والوالد في مرحلة القوة بدليل قيامه بالتربية ويشير جزء من هذا المقطع إلى مرحلة القوة بالنسبة للولد ومرحلة الضعف الثانية بالنسبة للوالد(إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا )وكأنه تذكير للولد بأن مرحلة الضعف الأولى محطة هامة وخطيرةفي سجل حياته بكل ما في هذه الكلمات من المعاني العميقة والدلالات الدقيقة(كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا)كما أن القوة والتي سيعقبها-لا محالة-ضعف،لا ينبغي أن تنسيالولد الرد بالجميل لمن كان سببا

(١) الإسراء: ٢٣-٢٤؟

في وجوده عندما يصلان مرحلة الضعف الثانية(إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا )إنه تصوير فني بديع يظهر الصورة بكاملها يظهرها بكل ما في هذه الكلمات من المعاني والدلالات(إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ) ويشير جزء من هذا المقطع إلى معنى عجيب( وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا )فالآية الكريمة تقدم للولد الحل الناجع والموقف المناسب لكل الاحتمالات إذ لا بد أن يكون الوالدان على قيد الحياة أو أحدهما فالتعامل مع هذه الحالة( وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ )وإما أن يكون الوالدان قد رحلا عن هذه الدنيا أو رحل أحدهما فالتعامل مع الحالةالأولى(وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا)ودليل احتمال وجود أحدهما دون الآخر قوله(أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا )ولكنك تعجب عندما ترى القرآن الكريم يستخدم الرحمة في الموضعين وكأن الولد يرجو من الله سبحانه وتعالى حسب توجيه القرآن الكريم ستر عيوبهما فضلا من الله وإنعاما (وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا )هذا في حال ذهابهما عن هذه الدنيا أما في حال وجودهما في هذه الحياة فإن أسلوب التعامل معهما يحكمه قانون( وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ )وكأن

القرآن الكريم يذكر الولد بالرحمة في الحالين فإن كانا قد رحلا فيسأل الله تعالى لهما المغفرة(وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا )وإن كانا على قيد الحياة فمن المحتمل أنهما قد يسيئان إلى الولد ولكن التعامل مع هذا الاحتمال( وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ).

والخلاصة أن الوالد عليه أن يعمل على تربية أبنائه التربية الصالحة،يزرع فيهم معاني الإيمان الجميلة ومقاصده النبيلة ليكون الولد أهلاً لأن يستجيب الله له حيث يقول(رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا)وحتى تقر عين الوالد كذلك بصلاح الولد وأهليته للدعاء الصالح لينطبق عليه قوله عليه الصلاة والسلام(**أو ولد صالح يدعو له**)وبعد أهلية الولد لهذه المكانة عليه أن يعرف أحكام الدعاء وآدابه لأن دعاءه بعد توفر ما يلزم يضيف عمرا إنتاجيا إضافيا لوالديه، على الولد أن يكون مأكله ومشربه وملبسه حلالا حتى لا يمنع استجابة الدعاء لوالديه(ثُمَّ ذَكَر)ﷺ(**الرَّجُلِ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ومطْعمه حرام ومشربه حرام وملْبسه حرام وغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُستجاب لِذَلِكَ**[1]»)

(١) مسلم٢٣٩٣.

كما أن الولد ومن خلال المقارنات السابقة ينبغي أن يعلم أن كل ما يقدمه لوالديه من البر في حياتهما أو الدعاء والصدقة وصلة أصدقائهما بعد رحيلهما«**إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ**[1]»لا يعدو كونه جزءا قليلامن الرد بالجميل لوالديه،﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾[2]﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[3]وهو في النهاية-من الناحية المنطقية- توزيع للأدوار كل يقوم بدوره المناسب في وقته المناسب إلا أن هناك فرقا بين من يقوم بالدور المطلوب منه لا إراديا كالوالدين، وبين من يقوم به بتكليف كالأبناء .

وبهذا يكتمل الحديث عن الثلاثة: الصدقة الجارية والعلم النافع والولد الصالح الذي يدعو لوالديهو ذكر بعض أهل العلم سبعة مع -الثلاثة السابقة- تضيف للإنسان عمراً إنتاجياً طويلاً.روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺقال ( **إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره أو ولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن**

(١) مسلم٦٦٧٩.

(٢) لقمان: ١٤.

(٣) الإسراء: ٢٤.

=

**السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته)** [1].

وقد نظم السيوطيما يلحق الإنسانبعد موته في قوله:

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من فعال غـــــير عشر

علوم بثها ودعاء نجـــل ... وغرس النخل والصدقات تجري

وراثة مصحف ورباط ثغر ... وحفـــــر البئـر أو إجراء نهر

وبيت للغريب بناه يأوي ... إليه أو بنـــــــاء محل ذكرِ

(١) رواه ابن ماجه و البيهقي وابن خزيمة وحسنه المناوي في فيض القدير والألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٧٤.

# الوقفة الرابعة نماذج من الوقف الإسلامي وآثاره عبر التاريخ.

لقد كان للوقف الإسلامي دور بارز في نشر التعليم والثقافة الإسلامية في المجتمع الإسلامي على مر العصور وكان المسجد اللبنة الأُولى للتعليم والتدريس وقد رغب الشارع في الوقف على طلبة العلم واعتبر الفقهاء ذلك من وجوه البر،ولذلك انتشر الوقف على المدارس والمعاهد وسنقتصر على نموذجين من البلدان فقط في هذه العجالة وهما الشام ومصر تجنبا للإطالة.

لم يكُن المسجد عند المسلمين مكاناً للصلاة فحسب بل كان مدرسة بمفهومها العام يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة وعلُوم القرآن والشريعة واللغة وفروع العلوم المختلفة.

ثُمَّ أقيم بجانب المسجد الكُتَّاب،وهو خصيص لتعليم القراءة والكتابة والقرآن،وكان الكتَّاب يشبه المدرسة الابتدائيةفي عصرنا الحاضر وكان من الكثرة بحيث عدَّ ابن حوقل ثلاثمائة كُتَّاب في مدينة واحدة من مدن صقلية،وكان من الاتساع أحياناً بحيث يضم الكُتَّاب الواحد مئات وآلافاً من الطلاب ومما يذكر في تاريخ أبي القاسم البلخي أنه كان له كُتَّاب يتعلم فيه ثلاثة آلاف تلميذ وكان كُتَّابه فسيحاً جداً بحيث يحتاج حماراً يركبهليتردد بين

طلابه،وليشرف على شؤونهم[1] ثم قامت المدارس بجانب الكُتَّاب والمسجد،وكانت الدراسة فيها تشبه الدراسة الثانوية أو العالية في عصرنا الحاضر وكان التعليم فيها مجانياً ولمختلف الطبقات يجلس فيها ابن الفقير بجانب ابن الغني،وابن التاجر بجانب ابن الصانع والمزارع،وكانت الدراسة فيها قسمين،قسماً داخلياً للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم وقسماً خارجياً لمن يريد أن يرجع في المساء إلى أهله وذويه.

أما القسم الداخلي فكان بالمجان أيضاً،يهيأُ للطالب فيه الطعام ومكانُ النوم،والمطالعة حرصاً على راحته النَّفسية،وكل مدرسة تحتوي على مسجد وقاعة للدراسة وغرف لنوم الطلاب ومكتبة ومطبخٍ وحمام.يقول الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله:ولا تزالُ لدينا حتى الآن نماذج من هذه المدارس التي غمرت العالَم الإسلامي كله ففي دمشق لا تزال المدرسة النورية التي أنشأها البطل العظيم نور الدين الشهيد وهي الواقعة الآن -كما يقولُ السباعي- في سوق الخياطين لا تزال قائمةوتعطينا نموذجاً لهندسة المدارس في عصور الحضارة الإسلامية ويوجد مثل ذلك في حلب في مدارس الشعبانية،والعثمانية،حيث لا يزال فيها للطلاب غرف يسكنونها وقاعات

(١) من روائع حضارتنا ص١٢٩

للدراسة،ورواتب معلومة في آخر كل شهر تعطى للطلاب المنتسبين لَها وقد كانت المدارس متعددة الغايات فمنها مدارس لتدريسِ القرآن الكريم وتفسيره وحفظه وتدريس القراءات،ومنها مدارس خاصة بالحديث ومنها–وهي أكثرها–مدارس للفقه لكل فقه مدرسة خاصة به ومدارس للطب ومدارس للأيتام وها هو النعيمي في كتابه(الدارس في تاريخ المدارس) وهو من علماء القرن العاشر الهجري يذكر ثبتاً بأسماءِ مدارس دمشق وأوقافها ومنه نعلم أنه كان في دمشق سبع مدارس لِلقرآنِ الكريم،وستَّ عشرةَ مدرسةً للحديثِ الشريفِ وللقرآن والحديث معاً ثلاثَ مدارسِ وللفقه الشافعي ثلاثٌ وستون مدرسةً وللفقه الحنفي اثنانِ وخمسونَ مدرسةً وللفقه المالكي أربع مدارس وللفقه الحنبلي إحدى عشرةَ مدرسةً وهذه المدارس كلُّها قائمةٌ على الأوقاف الخيرية وحسبنا دليلا على كثرة أوقاف المساجد والمدارسِ في دمشق خاصة أنَّ الإمام النوويَّ المتوفَّ سنة٦٧٦هـ لم يكن يأكل من فواكه دمشق طيلة حياته لأنَّ أكثر بساتينها في الأصلِ أوقافٌ قد اعتدى عليها بعض المعتدين.هذا بالنسبة للشام.

وإذا ذهبت أخي الحبيب إلى مصر في عصرها الذهبي فإنَّكَستجدَ العنايةَ العجيبةَ بالمدرسين والطلاب فعلى سبيل المثال قد خصصت رواتب إضافيةٌ علاوةً على الرواتبِ الأساسية للشيوخِ في الأزهر من أجلِ الإنفاق منها على

الخيول والبغال التي تنقلهم وقد بلغ ما يأخذه شيخ الأزهر من نفقات لبغلته أو خيله مئة جنيه شهريا في السنوات المتأخرة.

وأما طلابه فكانت لهم غرف كثيرة محيطة بالمسجد فغرف خاصة بالحلقات التعليمية وغرف لسكن الطلاب تسمى بالأروقة،يسكنها طلاب كل بلد،بجانب واحد،فرواق مثلا للشاميين ورواق للمغاربة ورواق للأتراك ورواق للسودانيين..الخ[1].

هذه نماذج قليلة مما أنجزه الوقف الإسلامي في مجال التعليم وترسيخ الثقافة الإسلامية فهل ستتنوع جهودنا لنستعيد ماضينا المشرق ومجدنا المضيء؟ لنعمل على صناعة عمر طويل؟؟؟؟

(١) المرجع السابق

## الخاتمة

بعد أن تم الحديث عن الوقف(نصوص وآثار)ودور الوقف في المجال التعليمي والحديث عن العلم وفضله، والحديث عن الولد الصالح،ستكون هذه الخاتمة مشتملة على بعض النقاط والجزئيات إثراءلفكرة الرسالة الأساسية وسأرتبها فيما يلي:

أولا:الحديث عن بعض المقترحات العملية لتأسيس الصدقة الجارية، وأهمية المبادرة وضرورة السرعة في التنفيذ قبل ضياع الفرصة وفوات الموسم .

ثانيا:الكلام على أهمية اكتشاف مواهب الناشئة والعمل على احتضانهم وتطويرهم في مراحل تعليم العلم النافع وضرورة وجود أوقاف خاصة بتحقيق هذه الأهداف.

ثالثا:الحديث عن تكريم العلماء والعمل على صون سمعتهم وحفظ مكانتهم من خلال ريع الأوقاف.

رابعا:الحديث عن أمانة الكلمة وجريمة القول على الله بغير علم وخطورة حبس الكلمة أيضاً.

خامسا:نماذج يمكن التعاون معها.

## أولا: مقترحات عمليـــة

على المسلم أن يتذكر جيدا الحديث الذي بدأنا به المقدمة (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله**..) ولكن هذا العمر الذي انقطع يمكن للمسلم الموفق الجاد أن يعوضه بعمر إنتاجيإضافي من خلال إحدى ثلاث:

١-صدقة جارية كما أسلفنا الحديث عنها.

٢-علم ينتفع به كما سبق ذكره.

٣-ولد صالح يدعو له كما تقدم.

وانطلاقا من هذا الحديث النبوي الشريف يستطيع المسلم الذي له قدرة ماديه ويحرص على عمر طويل يستطيع صناعة هذا العمر،من خلال تخصيص مبلغ من المال يجعله صدقة جارية(وقفاً لله تعالى) فالوقف بطبيعة الحال صدقة جارية وعندما يخصص للعلم النافع فإنه يكون بإذن الله تعالى مندرجا في قوله (علم ينتفع به)وبهذا يكون الإنسان قد حاز خصلتين من الثلاثة،وإذا حبس المسلم مبلغا من المال وجعله خصيصا للعلم النافع خاصا بذريته من الأبناء والأحفاد يتعلمون منه العلم النافع(علم ينتفع به) لا شك أن العلم النافع يوفر أرضيةً خصبةً للتربية الصالحة،وعندما يجتمع العلم النافع والتربية الصالحة للأبناء والأحفاد فإنهم بإذن الله تعالى سيكونون مظنة

صلاح،وعندئذ يكونون مهيئين لقوله ﷺ:(**ولد صالح يدعو له**)وبهذا يطول عمر الإنسان الإنتاجي بحصوله على نتاج الخصال الثلاثة.

أخي الحبيب:وكأنك بالأحفاد بعد عشرات أو مئات السنين،وقد تعلموا العلم النافع وبدعم من ريع صدقتك الجارية،مما يجعلهم يتذكرون آثار الجد النبيلة،في كل مناسبة، فيكون الدعاء الصالح،من هذا الحفيد الصالح الذي تعلم العلم النافع من صدقة الجد الجارية،مصاحباً لذكرياته الجميلة،عن جده الذي أضاف إلى التاريخ عمرا إنتاجياً طويلاً بالعمل النبيل والذكر الجميل،وإذا حصل عندنا تردد في هذه الفكرة،أو فتور أو تسويف فينبغي أن نتذكر-وهذا من المسلّمات-أن المتاح أمام كل منا ثلاث احتمالات لا بد أن يقع أحدها:

إما أن يذهب أحدنا إلى الدار الأخرى قبل ما يملكه،وإما أن يذهب المال قبله،وإما أن يذهبا معا،ولن يجد أحدنا في كل الأحوال إلا ما قدمه،يقول ﷺسائلا الصحابة:(**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ قَالَ فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**[1])

وَعلى القَارئ أن يقف وَقفَة تأمل مَع هذا الحديث..

(١) البخاري٦٤٤٢

=

كما أن التسويف يفوت كثيرا من الفرص،لهذا السبب كان التوجيه النبوي الكريم(**اغتنم خمسا قبل خمس ومنها غناك قبل فقرك**[1].. الخ)فالإنسان الجاد ينبغي أن يبادر إلى فعل ما اقتنع به من أعمال البر،مادام عنده مقدرة على التنفيذ.

عليه أنيبادر قبل حدوث عارض يحول دون ما أراده،فمجرد القناعة بفعل خير ما:مكسب هام،ولكن على الواحد منا أن يسارع إلى العمل،قبل أن يداهمنا فتور، أوتتغير قناعة،أو تتبدل ظروف وأحوال تحول دون وضع حجر الأساس لعمر إنتاجي طويل وينبغي أن نقتدي بأصحاب المبادرات النبيلة فالنبي ﷺعندما جاءه قوم مضر وهم في أمس الحاجة إلى مد يد العون تمعر وجهه ﷺثم قام خطيبا يدعو إلى مساعدتهم (فجاء رجل من الأنصار بصرَّةكَادَتْ كَفُّه تعجز عَنْهَا بلْ قَدْ عجزت – قالراوي الحديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنهثُمَّ تتابع النَّاس حتَّى رأَيت كومين من طعام وثياب حتَّى رأَيت وجه رسول اللَّه ﷺيتهلَّل كأَنَّه مُذْهبة فقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «**من سنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً حسنةً فَلَهُ أَجرها وأَجر من عمل بِها بعده من غيرِ أَنْ**

(١) النسائي: (١١٨٣٢)، الحاكم (٧٨٤٦).

=

**يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»**[1]

والشاهد من هذا الحديث أن الأنصاري قطف ثمن المبادرة وحصد نتيجة السرعة في تنفيذ عمل البر حيث نال أجر فعله،وأجر من عمل مثل عمله إلى يوم القيامة وكأنه عمر إضافي لصاحب هذه المبادرة وهذا درس مهم يستفيد منه التجار الأخيار والموسرون الأبرار على الواحد منهم مثلا أن يبني مسجدا في قريته أو الحي الذي يسكنه أولا ليحصل على بيت في الجنة (**من بنى لله مسجدا ولو مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة**[2])وثانياً: ليكون فعله سنة حسنة يقتدي بها غيره كما مر معنا في قصة الأنصاري.

لنفترض أن المسجد الذي يريد تشييده يكلف خمسمائة ألف دولار،أو ما يعادلها من العملات وهو قادر ومستعد لدفع هذا المبلغ لتنفيذ المشروع فهل هناك مانع من نقص مساحة المسجد إذا كنا متأكدين من عدم استخدام جميعها وإقناع المقاولين بتكلفة قدرها أربعمائة ألف دولار وتخصص المائة الخامسة صدقة جاريةووقفا استثماريا تعليميا يعود ريعه على مشروعٍ تعليمي مستمر في نفس المسجد لتكون قدوة لغيرك ويكلف الواقف جماعة

---

١ مسلم ٢٣٩٨.

٢ أحمد٢١٥٧وابن حبان١٦١٠.

المسجد لتكون مشرفة على المشروع وهي تنتخب القوي الأمين منها ليكون ناظرا على هذا الوقف ويكون لجماعة المسجد الصلاحية الكاملة في مساءلة أو عزل الناظر عندما يحيد عن جادة الطريق أو يتصرف تصرفا مشبوها.

إننا ننطلق في هذه الخواطر والمقترحات وبصحبة القراء الكرام من قوله تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] فالهدف من خلق الإنسان والغاية من وجوده في هذه الدنيا عبادة الله تعالى وإذا مات انقطع عمله العبادي:إلامنثلاث كما سبق،ومعنى ذلك أن الإنسان بموته تنقطع أنفاسه،ويوارى جسمه،ولكن العبادة التي خلق من أجلها وكان عمره ميدانا فسيحاً لفعلها قد لا تنقطع بموته،بل تبقى مستمرة من خلال إحدى الثلاث،وهذا ما نعبر عنه بالعمر الإنتاجي الإضافي.

وننطلق كذلك مما صوره جابر ﷺعنه من حرص الصحابة على صناعة عمر طويل حيث يقول ﷺ(فما أعلم أحدا ذا مقدرة من المهاجرين والأنصار إلا حبس مالا من ماله صدقة جارية موقوفة) والغاية من هذه المقترحات هو تقريب الصورة من الواقع وتسويق الفكرة بين الأفراد الذين لهم مقدرةٌ مادية ولكنهم لم يخطر ببالهم أنهم يستطيعون صناعة عمر إنتاجي إضافي وإذا توصلوا

(١) الذاريات: ٥٦.

إلى هذه القناعة،قد يتوقعون أن هذه الصناعة لا يستطيعها إلا الأغنياء الكبار أو المؤسسات العملاقة،والحقيقة أن الميدان مفتوح للسباق قال تعالى﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]كل يعمل حسب قدرته ومجاله يقول ﷺ: (سبق درهم مائة ألف درهم)[2]،ونضيف بعض المقترحات العملية في هذا المجال:

**أولاً**:إذا كان الواحد منا يعمل في العقار مثلا،وفتح الله عليه وأصبح يمتلك كثيرا من المباني والقطع الأرضية،فهل يضره أن يوقف بناية أو بنايتين يعود ريع ما أوقفه على مشروع تعليمي قد يخصصه لحلقات تعليمية في مسجد الحي الذي يسكن فيه أو القرية أو يجعله خاصا بأولاده وأحفاده، وبهذا يكونقدساهم في التنمية المادية والبشرية وعمل على صناعة عمر إنتاجي طويل.

**ثانيا**:إذا كان الواحد منا صاحب تجارة وفتح الله عليه من خزائنه،ثم جاء موسم الزكاة،لاشك أنه سيدفع نسبة اثنين ونصف بالمائة من ماله لأهل الزكاة المستحقين،في بندهم الخاص بهم في قوله تعالى:﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ

(١) المطففين: ٢٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند [٨٩١٦] والنسائي في السنن [٢٥٢٧] وابن خزيمة [٢٤٤٣].

وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

﴿[1] ولاشك أن الزكاة والصدقة بشكل عام يعود نفعها إلى المنفق نفسه(**صنائع المعروف تقي مصارع السوء**[2]) وماله(**حصنوا أموالكم بالزكاة**[3]) ومريضه(**داوو مرضاكم بالصدقة**[4]) ومع ذلك كله ألا ترى أنه من المناسب أن يخصص الواحد منا ولو واحدا بالمائة من خالص ماله ويجعله وقفا استثمارياً لمشروعٍ تعليميٍ على ما بيَّناه سابقا،ليجمع الواحد منا بين النَّفع العاجل الذي يسد حاجة المحاويج الأحياء مدة حياتنا،وبين نفع مستمر ينتفع منه الحاضرون والقادمون من أحفادنا أو من غيرهم طول غيابنا عن هذه الدنيا،لنضيف بذلك عمراًإنتاجياً جديداً يضاف لرصيدنا السابق نجده في الوقت المناسب.

إننا نتكلم بهذه الأرقام المتواضعة وهي الصدقة بالواحد في المائة،مقارنةً بموقف أبي الدحداح وأبي طلحة رضي الله عنهما كما سبق،ولا شك أنهما يمثلان ذروة التفاعل الإيماني مع الآيات القرآنية، ولكننا نريد الحد الأدنى

(١) التوبة: ٦٠.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٧٩٣٩

(٣) المعجم الكبير للطبراني١٠٠٤٤.

(٤) المصدر السابق

الذي تبدأ به الفكرة،وقد تتطور بعد ذلك ونكرر هنا ما قاله جابر ﷺ(فما أعلم أحدا ذا مقدرة من المهاجرين والأنصار إلا حبَّس مالا من ماله صدقة جارية موقوفة) ونحن مهمتنا في هذه الفقرة أن نسلط الضوء على أهمية هذا الموضوع محاولين إبراز سهولة تطبيقه ميدانياً،لأنَّ كثيراً من الناس صار عنده انطباع بأن الوقف لا يمكن أن يبدأ إلا بملايير الدولارات أو ملايينها،وهذا الانطباع ليس صحيحا من الناحية النظرية،ولا واقعيا من الناحية العملية،وإذا كانت هذه الأرقام تناسبالدول الغنية أو المنظمات الأممية،فإن حديثنا موجه إلى كلِ فرد ذي مقدرة على تنفيذ جزء من هذا المشروع ولم يخطر بباله يوماً أنه يستطيع أن يقدم الكثير لمستقبله أو مستقبل مجتمعه أو أحفاده،هدفنا أن يبادر كل من يستطيع-بعد وضوح الصورة-إلى تطبيق هذه الفكرة،ويكتب لصدقته بنودا تضمن استثمار رأس مالها،ويحدد من يصرف له ريعها،ويجعل إدارتها جماعية،وتنتخب الجماعة القوي الأمين كما أسلفنا.

**ثالثا:**وهل يضر التجار ورجال الأعمال -الذين يقدمون للجمعيات الإغاثية والمؤسسات الخيرية،مبالغ من المال كل سنة،تصرف على المحاويج- هل يضرهم أن يشترطو على تلك الجمعيات:أن يخصصوا خمسين بالمائة أو عشرين بالمائة على سبيل المثال من غير الزكاة، لتكون هذه النسبة صدقة جارية،يبقى أصلها يستثمر،وينفق ريعها على

مشاريعتعليمية،ليجمعوا بين تفريج كربات المحاويج المستعجلة، وبين أعمال خيرية مستمرة بعد مماتهم،تضيف لهم عمرا إنتاجيا إضافيا وليجمعوا بين الغذاء الجسمي الذي يتمثل فيما ينفقونه على المحاويج والغذاء الروحي الذي يتمثل في علم ينتفع به.

إن فوائد الوقف التعليمي عظيمة،ومنافعه جسيمة،وهو يخدم التنمية البشرية بشكل كبير،عندما تنفق مليون ريال لصالح الفقراء والمساكين فهذا شيء طيب،ولكن عندما تجعل نصفه صدقة جارية فإنك تكون قد جمعت بين خير وقتي ونفع مستمر.

رابعا:وهل يضرك أخي الحبيب أن تخصص جزءاً من ريع وقفك ليكون خاصاً بالكتاب النافع مرةً يطبع من هذا الريع كتاب للتوزيع ومرةً تشترى منه مكتبة متكاملة يختار لها مكان مناسب يستفيد منها طلبة العلم.

هذه نماذج من المقترحات وهدفنا أن يسارع كل فرد له قدرة مادية على إخراج صدقة جارية،وأعتقد أن كل من بادر إلى تطبيق الفكرة في قريته أو مدينته أو الحي الذي يسكنه قد ينال شرفَ وأجر من سنَّ في الإسلام سنة حسنةفله أجرها وأجر من عمل بها عندما يقتدي به غيره والسبق الخيري أمر عظيم،ألا ترى سحرة فرعون عندما آمنوا جعلوا أسبقيتهم إلى الإيمان سببا في

الطمع في مغفرة الرحمن قال تعالى حكاية عنهم﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[1]وفي المقابل فإن الرضى بالراحة والدون قد تكون عاقبته الندامة والهون، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2].

أخي الحبيب إن الفرصة قد لا تتكرر،فينبغي انتهازها في كل مناسبة، فعندما أخبر النبي ﷺعن قوم لهم مواصفات معينة يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب،انتهز الفرصة رجل فقال (ادع الله أن أكون منهم) وجاءه الرد منسجما مع مستوى سرعته في المبادرة..(فقال **أنت منهم**!) وحاول آخر بعد أن تأخر فقال(ادع الله أن يجعلني منهم)فقال النبي صلى لله عليه وسلم (**سبقك بها عكاشة**[3])وكلمة سبقك دليل على أن الحياة دائما ميدان سباق وتنافس قال تعالى:﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾[4] وقال تعالى:﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[5].

---

(١) الشعراء: ٥١.

(٢) التوبة: ٨٣.

٣ الأدب المفرد٩١١

(٤) المدثر: ٣٧.

(٥) المطففين: ٢٦.

هذه مقترحات عامة حول أهمية الإسراع في تأسيس الوقف وضرورة المبادرة في إنشاء الصدقة الجارية.

## ثانيا:أهمية احتضان الناشئة أصحاب القدرات وأهمية صون مكانة العلماء.

أرى من المناسب هنا أن نحدد بعض النماذج التي يمكن للواحد منا أن ينفق ريع صدقتهعليها أو يؤسس وقفا خاصابها،وسأقتصر على نموذجين:

**الأول:أهمية احتضان الناشئة أصحاب المواهب والقدرات المختلفة.**

لقد مر معنا في الوقفة الثالثةالحديث عن الولد الصالح وأهمية تربيته من طرف والديه حتى يتحقق فيه قوله ﷺ : (**ولد صالح يدعو له**) ولا شك أن كثيرا من الآباء قد يستطيعون تربية أبنائهم على كثير من الأخلاق الإسلامية الجميلة المتوارثة كتوقير الكبير وإكرام الجار ومساندة الضعيف ولكن معظم الآباء أيضاقد لا يكون مؤهلا لأن يقوم بالعمل الذي نحن بصدد الحديث عنه .

إننا نحتاج من الأخيار في قريتهم أو مدينتهم أو حيّهم الذي يسكنون فيه أن يقوموا باكتشاف طاقات أبناء مجتمعهم ومجال أوَ مجالات الإبداع لكل واحد منهم والعمل على تطوير هذا الجانب وتنميته وتشجيع صاحبه ليواصل مسيرته التعليمية بدءاً باحتضانه وتوجيهه وانتهاء بالإشراف عليه حتى يكون من ورثة الأنبياء .

إننا نحتاج إلى اكتشاف الموهوبين في تخصصات العلم النافع المختلفة إذا كان نبينا ﷺقد اكتشف موهبة زيد بن ثابت وأرسله لتعلم لغة اليهود وأنجز المهمة في فترة وجيزة وكان يكتب له عندما يريد مراسلتهم ويقرأ له رسائلهم كما أنه ﷺرآه يحمل عقلية حسابية فريدة فوجهه إلى علم المواريث وأعلن خاصيته للصحابة الكرام مبينا مكانته في الأمة (**أعلمها بالفرائض زيد بن ثابت**) فإن هذا يحتم علينا أن نسارع في اكتشاف هذه الطاقات واحتضانها وتطويرها وجعلها في المكان المناسب لها وإذا لم نسارع إلى احتضانها فإنها بين احتمالين إما أن تذهب طاقات هذه النماذج سدى ولا ينتفع الإسلام منها وإما أن يستغلها غيرنا وقد يستخدمها سلاحا ضدنا .

وإذا كان النبي ﷺيخبر عن عليرضي الله عنهوأرضاهلما رأى فيه من الذكاء وحسن التعامل مع حجة كل خصم قائلا:(**أقضاكم علي**) فإن هذا يحتم المسارعة في اكتشاف ما يناسب وظيفة القضاء وقد ظهرت براعة الإمام عليرضي الله عنهفيهذا المجال عندما حصلت نازلة معضلة حيث جاءت امرأة بمولود بعد زواجها بستة أشهر فتصدى لهذه المعضلة الإمام عليرضي الله عنهوأسقط عنها الحد من خلال المقارنة بين آيتين كريمتين الأولى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴿٢٣٣﴾ ﴾والثانية قوله تعالى﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴿١٥﴾ ﴾

فعندما يؤخذ من ثلاثين شهرا حولان(سنتان) فالباقي من الثلاثين ستة أشهر وجعلت ستة أشهر الحد الأدنى بعد الزواج الذي يسقط فيه الحد ولهذا عبر عمر ﷺعن إعجابه بقضاء الإمام علي قائلا:أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن .

وإذا كان النبي ﷺقد احتضن شابا ذكيا عاقلا أعلن له مرة (**يا معاذ إني لأحبك في الله**) كما أخبر الصحابةﷺبأن هذا الشاب أعلم الأمة بالحلال والحرام فهذا يجعلنا نسعى جادين في الاكتشاف المبكر لنماذج من البراعم والفتيان الذين يتميزون بخيال واسع وفهم عميق وشخصيه قادرة على التحليل والاستنباط بعيدا عن الحرفية الجامدة أو العقلية الجامحة بدليل أن معاذ بن جبل ﷺلما أرسله النبي ﷺإلى اليمن قال له بم ستقضي قال أقضي بكتاب الله قال فإن لم تجد قال فبسنة رسول الله ﷺقال فإن لم تجد قال أجتهد رأي ولا آلو بمعنى أن هذا الشاب لن يبقى مكتوف اليدين أو مسلوب الإرادة بل سيمعن النظر في الوحيين وما لم يجدهمنصوصا فإنه سيلحق النظير بنظيره وذكر العلماء أن هذا الحديث من أصول تشريع الاجتهاد فيما لا نص فيه .

وإذا كان النبي ﷺيحتضن شابا تميز بالفصاحة وقوة الحفظ ويعلن للصحابة أنه أقرأُ الأمة لكتاب اللهفهذا يجعلنا نفتش عن الأطفال الفصحاء خلقةً،

لنحتضنهم ثمنعمل على تطويرهم في سن مبكرة لتكون هذه النماذج من العدول الذين يحقق الله بهم قدرهالأزلي﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

وإذا كان النبي ﷺيحرص حرصا شديدا على سماع القرآن من أبي موسى الأشعري ويتأثر بجمال صوته إلى درجة البكاء مشجعا له ﷺفي نفس الوقت مخاطبا إياه (**لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود**) فهذا يجعلنا نسارع في اكتشاف أصحاب الأصوات الجميلة قبل أن تختطفهم مؤسسات الغناء ودور الملاهي.

وإليك هذا الحديث الذي جمع نماذج من فضائل بعض الصحابة قال ﷺ:(**أَرْحَمُ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهَا فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَعْلَمُهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَقْرَؤُهَا لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيٌّ وَأَعْلَمُهَا بِالْفَرَائِضِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**[1])

هذه الطاقات تحتاج إلى اكتشاف فوري واحتضان عاطفي وتطوير علمي وبإمكان رجل الأعمال الموفق أو التاجر المنفق أن يؤسس وقفا في قريته أو مدينته أو قبيلته أو عائلته يخصص ريعه لتحقيق ما يختاره من هذه الأهداف

(١) أخرجه أحمد ١٢٩٠٤.

النبيلة التي يشملها (علم ينتفع به) إن مجرد احتضان هذه النماذج وتوفير بيئة مناسبة لها يعد خطوة في الاتجاه الصحيح وقديما بين الإمام الغزالي رحمه الله أهمية هذا الاحتضان قائلا:طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله، إن احتضان الموهوبين والإشراف عليهمليتعلموا العلم النافع أمر في غاية الأهمية، وأعلم أن هذه الأعمال من الصعب أن يقوم بها شخص بمفرده بل المناسب أن يتعاون أهل القرية أو المدينة أو الحي على تأسيس المشروع وكل فرد يقدم ما يناسب اختصاصه، صاحب المال له دوره، المثقف له دوره، رجل القبيلة له دوره وإمام المسجد له دوره والطبقة الشبابية الحيوية لها دورها والمرأة لها دورها...إلخفي احتضان هذا المشروع وتطويره ليصنع كل من هؤلاء لنفسه عمرا طويلاً.

## الثاني:ضرورة الحفاظ على مكانة أهل العلم.

إن تعظيم العلم بتكريم أهله والسعي الجاد في حفظ مكانتهم وصون سمعتهم من ألسنة الدهماء أمر في غاية الأهمية،فبإمكان بعض الأخيار أن يؤسس وقفا يكون ريعه خاصا بفئة من العلماء وطلبة العلم الأقوياء في قريته أو مدينته أو عائلته أو قبيلته ليكون لهؤلاء تأثير علمي ونشاط دعوي بين الناس ولا شك أن ريع هذا الوقف ستكون له فوائد عظيمة عندما يفرغ هؤلاء لنشر العلم وهداية الناس.

إن توفير ما يسد حاجتهم فيه نصرة للإسلام، وتثبيت لأركانه وتقوية ثقة العوام بحملته لعدة أسباب:

منها أن هذه النماذج كغيرها من الناس عليها التزامات اجتماعية لا بد من الوفاء بها،وواقع التجربة يبرهن على أنها إن اشتغلت بأعمال تجارية أو وظيفية لم تتمكن من تأدية رسالتها على الوجه المطلوب وإن اشتغلتبأعمال رسمية ربما قيدتها عن نشر العلم أو شوشت على مواقفها.

لابد أن يتحرر العلماء من المنة لأي طرف إذ أسوتهم ﷺدستوره الدعوي ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾.

كما أن محاولة قريش لكبح جماح الدعوة عن طريق الترغيب معروفة (فإن كنت تريد مالا،وإن كنت تريد سؤددا..الخ)وهذا كله يدل على أن العالم أو

المصلح أو الداعية باعتباره مقتدياً بمنهج الأنبياء ينبغي ألا تكون عليه منة من أحد تقيده أو يد من طرف تذله ولا ننسى قصة عروة ابن مسعود عندما جاء إلى النبي ﷺ ناطقاً رسمياً باسم قريش فتكلم كلاما استفزازيا فرد عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأسلوب قاسٍ فسأل عروةُ رسولَ الله ﷺ من هذا الشخص؟ فقال إنه أبو بكر ابن أبي قحافة فلم يستطع عروةُ الرد وقال لولا يد لك علي لكافأتك بها ولكن هذه بتلك وهذا يعني أن عروة وهو سيد ثقيف انهار أمام الصديق بسبب معروفه السابق .

كما أن الأوقاف الإسلامية عبر التاريخ كانت حضنا دافئا لعلماء المسلمين ورافدا مساعدا على التحرر في مواقفهم ولهذا فإنكتجد مواقف العلماء كانت موازية للعلمالشرعيالذي يحملونه وينشرونه بمعنى أنهم يعلمون الحلال والحرام والعلوم الشرعية والإسلامية للناس ويسجلون المواقف التاريخية.

إن مواقف العلماء التاريخية التي تتعلق بمصير الأمة وثوابت دينها كثيرة جداًوسأقتصر على مثالين يبرهنان على أهمية المواقف في القضايا المصيرية الأول منهما لإمام دار الهجرة الإمام مالك والثاني لإمام أهل السنة في زمانه الإمام أحمد بن حنبل.

## الموقف الأول:

من المعلوم أن الرسول ﷺقال لعائشة بعد فتح **مكة** **لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ**[1] فهو ﷺترك إدخال جزء من الكعبة مخافة أن يفتن سادة قريش الذين لم يمضِ على إسلامهم وقت طويل وعندما حكم ابن الزبيررضي الله عنهأضاف الجزء الذي تمنى رسول الله ﷺأن يدخله في بناء الكعبة وعندما حكم الأمويون غيروا ما فعله ابن الزبير وردوها إلى الحالة التي تركها رسول الله ﷺعليها، وعندما حكم العباسيون أراد أبو جعفر المنصور أن يعيدها إلى الحالة التي تركها عليها ابن الزبير فقال الإمام مالك يا خليفة المسلمين (لا تجعل الكعبة ألعوبة في أيدي الحكام) فاستجاب الخليفة لتوجيه الإمام مالك وبقيت الكعبة على تلك الحالة حتى كتابة هذه السطور .

(١)البخاري: ١٥٨٦.

**الموقف الثاني:**

من المعروف أن فكر الاعتزال تسرب إلى الأمة المسلمة وازدهر في عصر الإمام أحمد وكان من مفردات هذا المنهج القول بخلق القرآن واقتنع بهذا الفكر من ينسب إلى أهل العلم أو يحسب عليهم وأقنعوا الخليفة بهذا الفكر عندئذ وقف الإمام أحمد أمام هذا التيار الجارف وأدى الأمر إلى سجنه ولكنه ثبت على موقفه ثبات الجبال الراسيات مبيناً أنه يختلف عن غيره إذ لا يصح في حقه أن يأخذ بالرخصة وإنما الأخذ بالعزيمة وحده هو الذي ينجيه أمام الله سبحانه وتعالى مخافة أن تفتن الجماهير إن هو أخذ بالرخصة فثبت ﷺعلى موقفه الرافض لفكر المعتزلة حتى نصره الله تعالى عليهم.

## ثالثا:أمانة الكلمة.

أخي الحبيبقد لا تكون عالما يثني طلاب العلم عندك ركَبهم وقد لا تكون غنيا حتى تؤسس وقفا تعليميا بمفردك ومع ذلك فلا بد أن تقدم ما تستطيعه لصناعة عمر طويل.

إذا كان الله تعالى قد أنعم عليك بفكر مستنير أو رأي سديد أو تجربة ناضجة، فينبغي أن تدون ما ترى أنه يفيد غيرك وعليك أن تأخذ العبرة وتستوعب الدرس مما قاله الإمام سحنون رحمه الله (كان بعض من مضى يريد أن يتكلم بكلمة ولو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير فيحبسها ولا يتكلم بها مخافة المباهاة[1]) قوله (كان بعض من مضى) فيه إشارة واضحة إلى أن هذه الظاهرة كانت موجودة في السابق وأثبتت الأيام خطأها وعدم صوابها، وعلى الحاضرين أن ينتهزوا الفرصة ليتداركوا ما فات على بعض من مضى من كون الواحد منهم(يريد أن يتكلم بكلمة) من علم ينتفع به والتجارب تثبت أنه(لو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير) .

أخي الحبيبإن الكلمة التي تخرج من القلب تصل إلى القلب وعندما يكون النصح حكيما والتذكير هادفا والتوجيه سليما والتعليم خالصا لوجه الله لا شك أنه سيكون له تأثير ولو على المدى البعيد.

---

(١) تهذيب سير أعلام النبلاء ج٣ص٩٨٣

على العالم أو الداعية أو المصلح أن يختار البذر المناسب ويهيأ الأرض لاستقباله، وليس عليه أن يستعجل الثمرة بل ليس مسؤولا عن النتيجة أصلا إذ قدوتنا ﷺ يعلن القرآن الكريم أن وظيفته محصورة في التبليغ ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾[1].

كما أنه ﷺ يقول (عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ).

إن حبس الكلمة مهما كانت الأسباب والمبررات يعد عملا تركيا سلبيا وتقصيرا فادحا بينا لأن الإسلام حريص دائما على الإيجابية والبناء وعلى المسلم أن يخلص النية ويقول خيرا لا أن يتكلم من أجل الناس أو يسكت من أجل الناس وقد بين الشيخ العلامة محمد مولود الشنقيطي أن العمل مع الرياء أفضل من تركه وأن الذكر باللسان مع عدم حضور القلب أفضل من ترك الذكر بالكلية حيث يقول:

وعمل على رياء أفضل ... من تركه لخوفه وفضلوا
ذكر اللسان فارغ الجنان ... على غفول القلب واللسان[2]

(١) الشورى: ٤٨.

(٢) مطهرة القلوب ص ١٤.

وهذا لا يعني التقليل من خطورة الرياء والمباهاة ولكن المسلم الموفق يسعى في تطهير قلبه من هذه الأمراض بموازاة الإسراع إلى فعل ما ينفعه في أخراه .

على المصلحين وقادة الفكر أن يحاربوا ثقافة حبس الكلمة من قولها أو كتابتها وكم أضرت هذه الثقافة ببعض علمائنا الأجلاء الّذين لديهم القدرة الفائقة على تدوين ما تحمله صدورهم من العلم النافع ولكنهم يعزفون عن التأليف فيحبسون علمهم حتى يدفن معهم والأمة في أمس الحاجة إليه والسبب الشائع الذي يبرَّر به حبس العلم في صدور هؤلاء الخوف من الرياء والحذر من المباهاة علينا أن نتأمل كلمات الإمام سحنون (ولو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير فيحبسها ولا يتكلم بها مخافة المباهاة)

إن كلماتك المنطوقة والمكتوبة يمكن أن تكون سببا لنجاة أناس من ويلات الفسوق أو وسيلة لإنقاذ فآت من براثين الرذيلة .

وهذا يحتم عليك أن تتكلم بما ينفع أو تكتب ما يفيد لا أن تحبس كلمتك حتى تدفن معك ثم إن الناس يتفاوتون في الطاقات و الإمكانات ويتباينون في مختلف جوانب الحياة فبعض أهل العلم قد وفقه الله لنشر العلم النافع مشافهة بين الطلاب وبعضهم وفقه الله لنشر العلم وتبليغ الدعوة عبر القنوات الفضائية أو الشبكة العنكبوتية(الإنترنت) وبعضهم له قدم راسخة في العلم النافع ولكنه ولأسباب ما لم تتهيأ له فرصة لنشره بين الناس وهذا النوع ينبغي

أن يحمد الله سبحانه وتعالى على أن عافاه من ضريبة الشهرة وباستطاعته أن يعمل الكثير لصناعة عمر طويل بعيدا عن الأضواء الإعلامية فإذا كان الواحد من هؤلاء قد تميز بقوة القلم فعليه أن يبادر بكتابة ما ينفع لا أن يحبس العلم في صدره حتى يدفن معه ،وإذا كان الواحد منهم قد تميز في الفصاحة وبرع في الخطابة عليه أن يجمع مادة من علم ينتفع به كفقه الطهارة أو فقه الصلاة لفئة من المجتمع أو فقه البيوع لفئة أخرى مثلاثم يقوم بتسجيل ما أعده من العلم النافع لا أن يحبس الكلمة أو يميت الموهبة.

أيها الأحبة الكرامإننا نغبط من وفقه الله لتأسيس صدقة جارية تبقى بعده ونغبط من وفقه الله لتعليم علم ينتفع به بوسيلة درسٍ أو تأليف ونغبط من وفقه الله لتربية أبنائه التربية الصالحة، ولكننا نشفق ونحزن كثيرا على من أصابته الغفلة واستدرجه الشيطان فأطلق لسانه في أعراض الناس مجتهدا وللأسف في بناء رصيد من الآثام يبقى بعده صنعه بوسيلة النيل من الأبرياء والصالحين فيأتي يوم القيامة وقد سب هذا وشتم هذا، على العاقل أن يشتغل بالبناء لا الهدم وعليه أن يتحرر من عقدة التنافس البغيض (تنافس الأقران) الذييحمل أحدهم على تحطيم منافسه حتى ينفرد بوجوده في الساحة حسب زعمه، إن الخسارة أن يشتغل الواحد منا بإبراز عيوب الآخرين أو إظهار جوانب النقص فيهم أو ترويج اتهامهم بالجهل .

على العاقل أن يتأكد من أن التاريخ سيكون هو الحكم في الحكم على الأشخاص وأن التضحية والإخلاص عاملان مهمان لجودة المنتج وبقائه أطول .

أخي الحبيب ألا تتفق معي أنه لو اشتغل إنسان بتحطيم عالم أو داعية أو مصلح فإنه يكون قد أهدر طاقته بما لا يفيده ولا يضر العالم أو المصلح أو الداعية إن علم الله منه الصدق والإخلاص كما أن هجومه على الأخيار قد يكون سببا في إقبال الناس عليهم وسببا كذلك في نفرة الناس من هذا الإنسان الذي ديدنه وشغله الشاغل سب الآخرين والنيل منهم وكأنه لم يخلق -وللأسف- إلا لهدم المنجزات وتحطيم المنْجزين!!.

ولا ننسى أنه عندما تفنن أبو جهل في سَبَ النبي صلى الله عليه وسلم والنيل منه كانت النتيجةتحول حمزة رضي الله عنه من صف المعادين للدين إلى صف جند نبي الله الأمين حيث قال(أتسبه وأنا على دينه)!!.(ولو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير) إن بعض الأفراد قد رزقه الله فطرة سليمة وفطنة خارقة وذوقا رفيعا وتجربة ناضجة مليئة بالمواقف البناءة كفن إصلاح ذات البين أو القدرة على إخماد نار العداوات ولَهيب الإحن بين المصابين بها أو حباه الله وسيلة الإقناع وطاقة الإبداع في استئصال فكر اليأس وثقافة التشاؤم بين أفراد الأمة .

هذه النماذج عليها مسؤوليات جسيمه إذ قد تحقق بأفكارها البناءة وتصوراتها المتوقدة ما يعجز عنه كثير ممن يصنف من أهل العلم.

على هذه النماذج أن تكتب ما توصلت إليه مما يفيد غيرها وإذا كان بعضها لا يستطيع الكتابة أو لا يقدر على صياغة الأفكار الإيجابية فينبغي أن يتعاون معها بعض المصلحين ليقوموا بتسجيل وكتابة ما يرونه نافعا حتى لا يدفن معهم رصيدهم التراثي دون أن يستفاد منه.

إخوتي الأكارم..

وإذا كان حبس الكلمة بهذه المنزلة فإنه يوازيه بل يفوقه خطورة القول على الله بغير علم ويكفي شناعة وجرما أن يعطف هذا السلوك على الشرك بالله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1] كما أن القرآن الكريم أنب أناسا وعنف عليهم بسبب الإقدام على أحد أمرين كل منهما خطير قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[2] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿

---

(١) الأعراف: ٣٣.

(٢) يونس: ٥٩.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[1] وينبغي للمسلم أن يمتثل التوجيه النبوي الذي يتمثل في حماية أخلاقية يقول ﷺ : (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**[2]) كما أنه ﷺقد أعلن بعض المعالم التي تبرهن على حسن إسلام المسلم يقول ﷺ : (**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**)[3] .

إن القول على الله بغير علم يعد جريمة دينية ولهذا ذكر الإمام سحنون خطورة هذه الجريمة حيث يقول: (إن المفتي الذي يفتي بالباطل يبيع آخرته بدنيا غيره) ولاشك أن التذكير بالتأمل في الحساب والعقاب والمجازاة يجعل الواحد منا يتريث قبل أن يتكلم لأن الواحد إذا لم يستحضر المصير الحتمي والمثال الأخروي فإنه قد يتجاوز الحدود الشرعية ويسطو على الأعراض المصانة قد يورط نفسه باسم القبيلة أو العائلة أو البلد إلخ...وإذا لم يستحضر أحدنا جزاء الله العادل﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾[4]فإنه قد يجعل نفسه وقود

(١) النحل: ١١٦.
(٢) البخاري (٦٠١٨)
(٣) الترمذي (٢٣١٨).
(٤) المدثر.

حريق أشعله غيره فيقدم ما عنده من الحسنات مجانا ويبني في نفس الوقت ركاما من السيئات بعدة وسائل ومنها النيل من الأبرياء أو الصالحين لينال الواحد حظوة دنيوية عند زيد أو عمرو من الناس ولكن المسلم السوي له مواصفات خاصة ومسلمات ثابتة، له إيمان يمنعه من المغامرات التي يغريه بها شياطين الإنس والجن والتي تحدث القرآن الكريم عن كثير منها،ومن مغامرات بعض المتهورين في الدنيا ما قصه القرآن الكريم﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣ ﴾[1]وقد تحدث القرآن الكريم عن مصير هذه النماذج يوم القيامة﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ ﴾[2] وا لنتيجة النهائية للتابع والمتبوع﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ ﴾[3]وقد بين القرآن الكريم أن الشيطان يغري بعض الإنس ولكنه يتخلى عنهم في أحلك الظروف وأصعب المواقف أما تخليه في الدنيا ففي قوله تعالى:﴿

(١) العنكبوت: ١٢-١٣.

(٢) البقرة: ١٦٦.

(٣) البقرة: ١٦٧.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾[1] وأما تخليه في الآخرة فلنستمع لموقفه من أتباعه يوم القيامة قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[2]

أيها الأحبة الأفاضل على الواحد منا أن يستشعر خطورة شياطين الإنس والجن ويعمل على تجريد نفسه من تأثيراتهم قد يزين الشيطان للإنسان حبس الكلمة النافعة، وقد يزخرف له القول على الله بغير علم وعلى المسلم أن يسد الطريق أمامه كما أنه عليه أن يجعل نصب عينيه قبل أن يتكلم قوله تعالى

---

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) إبراهيم: ٢٢.

=

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾(١)

هذه الآية دعتنا إلى القول الحسن ووجهتنا إليه ثم بينت أن لنا عدواً والعدو دائماً يتربص بخصمه وتشتد خطورة الخصم عندما يكون عمله العدائي دائماً دون انقطاع ومتواصلا دون فتور﴿ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴿٥٣﴾ ﴾إذ الفعل المضارع يدل على التجدد علينا أن نتقي الله في أنفسنا ونحسن إليها ولا نسيء ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾ ﴾(٢)

**والله** إنه لمن الغبن الفاحش والخسارة المؤسفة أن نطلق العنان لألسنتنا لتنهش في أعراض الناس مهما كانت الدوافع الوهمية والمبررات المفتعلة فإذا كان يخيل إلينا أننا ننصر الدين بالسب والشتم والغيبة فإن الدين أسمى وأطهر من أن ينصر بهذه الممارسات -التي يمنعها أصلا-.

وإذا كان يخيل إلينا أن مصيرنا مربوط بزيد أو عمرو من الناس فيجب علينا أن نصحح المفهوم إذ لا يقبل أن نتعلق إلاّ بالحي الذي لا يموت إذ العبيد ضعفاء لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، إن رحلتنا في هذه الدنيا تعد قصيرة-وقد عبر القرآن عن المرحلة البرزخية بالزيارة

(١) الإسراء: ٥٣.

(٢) الإسراء: ٧.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾– مقارنة بالمصير الذي تنتظره البشرية من خلود أبدي في إحدى الجهتين ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾علينا أن نلتزم بقوانين السير وأن نراعي وسائل السلامةفي هذه الرحلة حتى نصل إلى بر الأمان قال معاذ رضي الله عنه للنبي ﷺمستفهما(**وإنا لمؤاخذون بما نقول؟ فقال ﷺثكلتك أمك يا معاذ وهل يكُب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**(١)).

أخي الحبيب إن الكلمة قد تعلو بصاحبها إلى القمم العليا وقد تهبط به إلى الدركات السلفى يقول ﷺ :(**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم**(٢)).

على المسلمأن يتريث قبل أن يتكلم فإن تأكد من صواب كلامه فلا ينبغي أن يحبس الكلمة إذ القانون النبوي(**فليقل خيراً**) وإن علم خلاف ذلك وجب عليه أن يمتثل الأمر النبوي ( **ليصمت** ).

(١) النسائي في الكبرى رقم١١٣٩٤والترمذي٢٦١٦.

(٢) البخاري ٦١١٣.

## رابعا:نماذج يمكن التعاون معها..

وفي ختام هذه الرسالة أرى من المناسب أن نختم بالكلمات التالية ..

أخي الحبيب إذا كنت مشغولاً أو ليست لك خبرة في المجالات الإقتصاديةفعليك أن تستشير النَّصحةَ الأقوياء،وتستعين بأهل الاختصاص،كما أن هناك نماذج من المؤسسات في عموم بلاد المسلمين يمكن التعاون معها في تحقيق ما نطمح إليه وسأضرب أمثلةً قليلةً في المملكة العربية السعودية بحكم الإقامة فيها وهي للمثال لا الحصر فإن كنت حريصاً على أن يكون ريع صدقتك الجارية خادماً للقرآن الكريم مستشعراً قوله ﷺ(**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**[1]) فبإمكانك أن تتعامل وتتعاون مع إدارة الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم أو الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، وإن كنت حريصاً على أن يكون ريع وقفك خادماً للسنة النبوية مستحضراً قوله ﷺ(**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فأداها كما سمعها**[2]) وقوله ﷺ: (**ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه**[3]) فبإمكانك أن تتعاون مع دار

---

(١) البخاري٥٠٢٧

(٢) الترمذي٢٦٧٥وأحمد٤١٥٧

(٣) أحمد١٧١٧٤

الحديث الخيرية بمكة المكرمة والمدينة المنورة أو غيرهما ممن تخصص في خدمة السنة.

وإن كنت حريصاً على أن يكون ريع صدقتك الجارية وسيلة لهداية الناس ودعوتهم إلى الخير فبإمكانك أن تتعاون مع مؤسسة الندوة العالمية للشباب الإسلامي التي شعارها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

و إن كنت تتحسر أسفاً وحزناً على موت فمام من الناس على غير دين الإسلاموتتذكر واقع نبي الرحمة ﷺالنفسي والشعوري الذي صوره القرآن الكريم﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾[2]﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴿٨﴾﴾[3]﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾[4]ويقول ﷺ: (**يا عمُّ**

---

(١) فصلت: ٣٣.

(٢) الكهف: ٦.

(٣) فاطر: ٨.

(٤) يونس: ٩٩.

=

**قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**[١]) و(**كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺفَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺيَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَسْلِمْ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺفَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺوَهُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ**[٢])

إذا كنت تقتدي بأسوتك ﷺفي حرصه على هداية البَشر ويغريك بفرح وسرور قول النبي ﷺلعلي-رضي الله عنه- (**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**[٣]) فبإمكانك أن تتعاون مع مكاتب الدعوة و توعية الجاليات في المملكة العربية السعودية ؛ إن هذه المكاتب لها جهود دعوية بارزة تثلج صدر كل مسلموإن كنت حريصاً علىأن يكون لك بيت في الجنة يشدك قوله ﷺ: (**من بنى لله مسجداً ولو مفْحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة**[٤]) فبإمكانك أن تتعاون مع مؤسسة إدارة المساجد والمشاريع الخيرية كما أنه على هذه المؤسسات أنْ تسن قوانين للتعامل مع الأفراد وينبغي أن تجهز لهم خيارات متنوعة ومكتوبة تلبي طموحات الأفراد المختلفة مقدمين منهجاً شاملاً لكل من يريد المشاركة مقدمين نماذج من بنود الاتفاق وقوانين الإشراف على ما يوكل إليهم من المشاريع الوقفية

---

(١) البخاري٤٧٧٢

(٢) البخاري١٣٥٦.

(٣) البخاري٢٩٤٢.

(٤) صحيح ابن حبان (١٦١٠).

موضحين في نفس الوقت ما يستطيعون تنفيذه من المشاريع ومعتذرين عما لا يستطيعون القيام به وموجهين ومبصرين لكل فرد يريد أن تكون له مشاركةٌ في صناعة عمرٍ إنتاجيٍ طويل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

وكتبه.. الفقير إلى عفو ربه:
المصطفى السالك بن الطالب الشنقيطي..
١٥ /١ /١٤٣٢هـ ..
بالخُبَر..
بالمملكة العربية السعودية..

للتواصل :
٠٥٥٣٧٧١٧٦٦ (٠٠٩٦٦)
M0503159642@gmail.com

# فهرس


| | |
|---|---|
| المقدمة..... | ٣ |
| التمهيد..... | ٥ |
| الوقفة الأولى..... | ٨ |
| الوقفة الثانية..... | ١٧ |
| الوقفة الثالثة..... | ٣٢ |
| الوقفة الرابعة..... | ٤٤ |
| الخاتمة وتشمل ما يلي:..... | ٤٨ |
| ١-مقترحات عملية..... | ٤٩ |

| | |
|---|---|
| ٢-احتضان الناشئة وحفظ مكانة العلماء..... | ٦٠ |
| ٣-أمانة الكلمة..... | ٦٩ |
| ٤-نماذج يمكن التعاون معها..... | ٤١ |


## صدر للمؤلف

١- **جوانب من عظمة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم** ، من وحي سيرته ومسيرته .

٢- دروس الطلاب والمعلمين "شرح للآجرومية في النحو" .

٣- مدينة النحو وسكانها .

٤- التنصل والاعتراف يوم القيامة - تحت الطبع .

٥- الموسر والمعسر وجسور التواصل - تحت الطبع .